الحـــوار
مفهومًا وتأصيلا وواقعا

✍ إعداد الدكتور

علي جابر العبد الشارود

دكتوراه في الدعوة والثقافة الإسلامية

Email: Ali-Al-Sharoud@yahoo.com

ملخص عربي :

الحوار مفهومًا وتأصيلا وواقعا

إعداد الدكتور / علي جابر العبد الشارود

قدمت في دراسة مفهوم الحوار لغة واصطلاحا، وميزته وعزلته عن المفاهيم المتشابكة معه والملتصقة به كالجدال والمناظرة والمفاوضة والمناقشة، ومن ثم عرجت على أركان الحوار ومكوناته. الأمر الذي أكد أن الحوار قائم على التعاون والتفاهم بين الأطراف المشاركة لتحقيق أهداف معينة يسعى المتحاورون إلى تحقيقها، وناقشت الدراسة الشروط التي يقوم عليها الحوار والتي تتمثل في: إتاحة الحرية الكلمة للمتحاورين، وتحديد مضمون الحوار، والالتزام بالسلمية وعدم التعصب، وبذلك يتحول الحوار من مجرد حالة تلقائية عفوية، إلى عملية منظمة ومنضبطة ومخطط لها بدقة، وبينت الدراسة فلسفة الحوار من خلال مناقشة أسسه ومنطلقاته، والتي تتمثل: في مدنية الإنسان، وحتمية الاختلاف والتعدد، ووحدة الإنسانية والمشترك الإنساني، وأيضا أهميته وضرورته، والتي تتمثل في: كون الحوار سبيلا للتعارف الإنساني، وتقليص شقة الخلاف بين المتحاورين، وكسر الجمود الفكري والروحي، وتنويع الرؤى في الوصول للحقيقة، ناقشت الدراسة مستويات الحوار وآفاقه، حيث بَانَ أن للحوار مستويين: الحوار على المستوى الداخلي، بما يضمنه من حوار داخل نفس الإنسان ومكنونته، وحوار داخل المجتمع المسلم، وحوار بين الأوطان الإسلامية؛ والحوار على المستوى الخارجي، بما يضمنه من تحاور بين الجماعة المسلمة والعالم الخارجي عنها، كما تعددت آفاقه ومجالاته، من حوارات سياسية، ودينية، وقيمية، وثقافية، وحضارية، تناولت الدراسة منظومة الحوار القرآنية من خلال جانب التأصيل القرآني للحوار، حيث تعظيم مكانته، وتأكيد إمكانه وواقعيته، مع التدليل بنماذج تطبيقية يمكن احتذاؤها والاهتداء بها، وأيضا جانب الثقافة الحوراية القرآنية، حيث وضع منهجية قرآنية للتحاور تتمثل في: ضرورة الاعتراف بالآخر، وعدم الإكراه والتسلط، وتعظيم المشترك التعاوني، وتحكيم الجو العلمي وتجنب العاطفة، مع تأكيد أهمية الالتزام بضوابط الحوار من انصاف الطرف الآخر، والتزام اتباع الحق، واحترام الآخر وعدم إثارته...الخ.

الكلمات المفتاحية: الحوار – المفهوم – التأصيل – الواقع.

Email: Ali-Al-Sharoud@yahoo.com

Einglish Abstract:

Dialogue is understandable, progressive and realistic

Prepared by Dr. Ali Jaber Al-Abd Al-Sharoud

In the study of the concept of dialogue language and terminology, and its distinction and isolation from the concepts interlocking with him and attached to it such as debate and debate, negotiation and discussion, and then covered the pillars of dialogue and its components. Which stressed that the dialogue is based on cooperation and understanding between the parties involved to achieve certain goals sought by the interlocutors, and discussed the study conditions of the dialogue, which is: Freedom of speech to the interlocutors, determination of the content of the dialogue, and commitment to the non-intolerance and intolerance, and thus turn the dialogue from spontaneous spontaneity to a systematic, disciplined and carefully planned process. The study demonstrated the philosophy of dialogue by discussing its foundations and premises: And the unity of humanity and the common humanity, as well as the importance and necessity, which is: the dialogue as a way to human acquaintance, and reduce the level of disagreement between the interlocutors, and break the intellectual and spiritual stalemate, and diversification of visions to reach the truth, the study discussed levels of dialogue and prospects, Two levels of dialogue: dialogue on And dialogue at the external level, so as to ensure dialogue between the Muslim community and the outside world, as well as its horizons and areas, from political dialogues, religious, and value-based dialogues. And cultural and cultural, the study dealt with the system of dialogue Quran through the rooting of the Quranic dialogue, where the maximization of its status, and the confirmation of its potential and reality, while demonstrating the application models can be taken and guided, and also the culture of the Koran, Where he established a Qur'anic methodology for dialogue: the need to recognize the other, non-coercion and domination, maximizing cooperative cooperation, judging the scientific atmosphere and avoiding emotion, while stressing the importance of adherence to dialogue controls from the other side.

Key words: dialogue - concept - rooting - reality.

Email: Ali-Al-Sharoud@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وبعد؛

فإنَّ هذا البحث إنَّما يهدف إلى بيان قيمة الحوار وأهميَّته، وتأصيله، وتفعيله على كافَّة الأصعدة، بدءًا من الحوار الشخصي والفردي، مرورا بالحوار الديني والثقافي، وانتهاء بالحوار الحضاري؛ كما يُسهم في بيان شروطه وفلسفته وأبعاده وإشكاليته وواقعه.

والحق، فإنَّ الأمة الإسلامية اليوم في حاجة إلى كثير من الحوارات، سواء على المستوى الداخلي بين أفرادها ومذاهبها وأوطانها، أم على المستوى الخارجي بينها وبين غيرها من الأمم والحضارات المختلفة.

ولا يتأتَّى لها ذلك إلا من خلال وضع فكرة الحوار في بؤرة شعورها، ومركز تفكيرها، مع المران والتدرب التطبيقي على إجرائه، وهذا يتطلب ـ قبل كل شيء ـ بيئةً حوارية مناسبة: من إتاحة الحريَّة الفكريَّة وحرية إبداء الرأي، واحترام المخالف وتقبُّله، والاعتراف بحقه في الاختلاف والتمايز.

وفي المذهبيَّة الإسلاميَّة فإنَّ الحوار الموصل إلى التعارف والتفاهم، إنَّما هو أحد مقاصد الشارع عز وجل من خلقه عندما جعلهم مفترقين مختلفين متعددين ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ [الحجرات:١٣]، فهذا التعارُف إنَّما هو أحد تجليات الحوار وأحد أهم جوانبه، ومن ثم كان الحوار مأمورا به حتى مع أقصى درجات المفارقة وهي الخلاف في الدين: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤ ﴾ [آل عمران: ٦٤].

ومن ثَمَّ جاء اهتمام الإسلام منذ مقدمه بتأسيس منهج حواري متكامل، جاعلا عمليَّة نشر الدعوة الإسلاميَّة ذاتها معتمدة على التحاور المؤدي إلى الاقناع من غير تعد ولا إكراه، كما أنَّ أساس قيام الحياة في الإسلام لا سيَّما مع

المختلف –أفرادا وشعوبا وقبائل– مبني على ذات الحوار المؤدي إلى التقبل والاعتراف والتعايش.

وليس من شكٍ في أنَّ أوَّل ما يمكن الاعتماد عليه في استنباط منهج حواري مناسب، هو القرآن الكريم، حيث عظم من قيمة الحوار، وجعله وسيلة حيوية للحديث إن مع المتفقين أو المختلفين، ومهما كانت درجة الاختلاف، مع تعداد ذكر نماذج حوارية مختلفة، والتي ينبغي الاهتداء بها والابتناء عليها.

وإذا كان للحوار جانب نظري تثقيفي، ينبغي الاهتمام به؛ فإنَّ له جانبا عمليا تطبيقيا هو المهدوف إليه، ومن ثَمَّ فلا يُكتفى بمجرد التنظير للحوار والارتكان لذلك، وإنَّما الواجب هو التفعيل والتطبيق على أرض الواقع.

هذا الجانب العملي ينطلق في الأساس من فقه الواقع المعاش، ومتطلباته ومشكلاته، والبحث عن أدواء مناسبة وحلول مُشاكلة لهذا الواقع، كما يلزم أن تكون هذه الحلول أو ما يتوصل إليه الحوار من نتائج أيضا واقعية، يمكن تطبيقها على أرض الواقع؛ فالحوار الذي لا ينطلق من الواقع ولا يتعامل معه، أو ينطلق من الواقع ولا يستطيع أن يتعامل معه، هو حوار مجازي مضيع للجهد والوقت والآمال. ولا شك أنَّ حاجاتنا الحقيقية تتمثل في الحوار الموضوعي الواقعي، مع تنحية المثالية والطوباوية عن فكرة الحوار.

وفي هذا العصر الذي تعقدت فيه طبيعة الحياة، وخرجت عن بساطتها، فإنَّ الحوار أيضا قد تناسب مع هذا التعقيد الحياتي، حيث تعددت مجالاته: سياسية واقتصادية، ودينية وقيمية، وثقافية وحضارية؛ وتنوعت مستوياته: من حوار داخلي يتميز بكونه بين طرفين ينتميان إلى نفس الذات وإلى الهوية نفسها، ومنه الحوار بين أفراد المجتمع المسلم، والمذاهب الإسلامية، والأوطان الإسلامية.

وحوار خارجي مع المختلف ديناً ووطناً وثقافة وهوية، مثل الحوار مع غير المسلم خارج المجتمع الإسلامي.

والحق فإنَّ عملية الحوار واقعيا ليست أمرا سهلا ممهدا وإنما يُقابلها كثير من الإشكاليات والعقبات، من هذه الإشكاليات ما يمثل عقبة أمام أي حوار بشكل عام وعلى أي مستوى، ومنها ما يمثل عقبة في سبيل الحوار الذاتي (الداخلي)، وأخيرا إشكاليات تقف عثرة أمام الحوار الخارجي.

ومن ثَم فإنّه ينبغي أن تتضافر الجهود وأن تتعاضد كل الجهات المنوط به تحقيق فاعلية الحوار، بدءا من الدول والمنظمات، ومرورا بالجامعات والمجتمعات المدنية، وانتهاء بوسائل النشر والإعلام.

٢ـ أهمية البحث:

يستمد هذا البحث أهميته من أهمية موضوع الحوار ذاته، ثم تتعاظم هذه الأهمية لكونه موجها إلى فئة المجتمع الإسلامي والذي يُلحظ غياب مثل هذه الموضوعات عن دائرة إدراكه في الحياة الواقعية، رغبةً في استعادة دوره وشهوده الحضاري الذي افتقده.

ومن ثَم فإنَّ هذا البحث يركز على كلا جانبي الحوار: النظري التثقيفي، والعملي التطبيقي، من أجل استعادة روح الحوار داخليا حيث تتحاور الأمة مع ذاتها، وخارجيا حيث حوارها مع الآخر.

٣ـ حدود البحث:

نظرا لسعة موضوع الحوار الغير محدودة والتي لا يمكن بحال تقصِّي جميع نقاطه واستيعابها، فإنَّ هذا البحث قد انحصر في مناقشة بعض الموضوعات بعينها والتي تمثّل الأركان الكبرى للحوار، وذلك في جانبيه النظري والعملي

ومن هنا فقد اقتصر هذا البحث على تجلية مفهوم الحوار وفلسفته وأبعاده، مُبرزا ذلك من خلال منظومة الحوار القرآنية وربطها بالواقع المعاش، كما يُعنى بالوقوف على إشكالية الحوار والتواصل.

أما بالنسبة لمنهج البحث، فقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي الاستنباطي النقدي، فهي دراسة تحليلية حيث تقوم بتحليل الآراء والأفكار التي تدور حول معنى الحوار سواء من الكتابات التراثية أو من الكتابات المعاصرة، بدءا من المفهوم وانتهاء بالفلسفة والمقاصد التي تقوم عليها فكرة الحوار. مع استنباط القيم والمثل العليا لبناء منظومة حوار قرآنية، ووضع تصور لواقع الحوار وإشكاليته المعاصرة.

٥- خطة البحث:

تكون البحث من **مقدمة:** متَّلت الإطار النظري للبحث، **وخاتمة:** متَّلت نتائج البحث، وأهم التوصيات التي توصل إليها، ثم **أصل** البحث والذي يتكون من أربعة فصول على النحول التالي:

الفصل الأول: **مفهوم الحوار وفلسفته وأبعاده** وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **مفهوم الحوار**

المبحث الثاني: **فلسفة الحوار**

المبحث الثالث: **أبعاد الحوار**

الفصل الثاني: **منظومة الحوار القرآنية وآثارها في الواقع.** وقد اشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: **التأصيل القرآني لفكرة الحوار**

المبحث الثاني: **ثقافة الحوار في القرآن الكريم**

الفصل الثالث: **الحوار وفقه الواقع.** وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **انطلاق الحوار من فقه الواقع**

المبحث الثاني: **واقع الحوار داخليا**

المبحث الثالث: **واقع الحوار خارجيا**

الفصل الرابع: **إشكالية الحوار والتواصل.** وقد اشتمل على ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: **الإشكالية العامة للحوار والتواصل**

المبحث الثاني: **إشكاليات الحوار الذاتي**

المبحث الثالث: **إشكاليات التواصل الخارجي**

هذا وبالله التوفيق

الفصل الأول

مفهوم الحوار وفلسفته وأبعاده

على الرغم من قدم كلمة الحوار وشيوعها في الكتابات التراثية القديمة، إلا أنَّها لم تأخذ حظها كمفهوم متكامل، له مدلولاته الخاصة وأبعاده المتعدَّدة إلا في العصر الحديث، بل من الممكن القول إنَّ هذه الكلمة استُدعيت من معاجم اللغة، حتى تُعبّر عن مدلولها الواقعي الحديث، بمعنى أنَّ كلمة الحوار وإن كانت دلالاتها في القديم تنطبق على إجراء حديثي يتم بين شخصين أو أكثر، إلا أنَّها باتت اليوم أعقد كثيرا من ذلك.

إنَّ مفهوم الحوار اليوم أضحى مفهوما متكاملا تُنسج حوله النظريات، وتختلف حوله النظرات، وتتنوع فيه الأغراض والغايات، له فلسفة يقوم عليها، وأبعاد يتناولها.

ومن ثم فإنَّ هذا الفصل يهدف في الأساس إلى إيضاح هذا المفهوم، من حيث الناحية اللُّغويّة والاصطلاحيّة، مع عزله عن المفاهيم القريبة منه والمتشابكة به والمتداخلة معه، وأيضا بيان الفلسفة التي يقوم عليها، وإيضاح المقومات والأسس والركائز التي يستند عليها، وأخيرا الأبعاد التي يتغيَّاها هذا المفهوم.

وعلى هذا، فإنَّ هذا الفصل لا يعدو أن يكون أكثر من مدخل تنظيري لعملية الحوار. يتناول: مفهومه، وفلسفته، وأبعاده؛ من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: **مفهوم الحوار**
المبحث الثاني: **فلسفة الحوار**
المبحث الثالث: **أبعاد الحوار**

المبحث الأول
مفهوم الحوار
(تعريفه وشروطه)

مقدمة:

يُعد مفهوم الحوار من المفاهيم البسيطة الواضحة التي لا يكتنفها لبس ولا غموض عند الإطلاق، سواء في أذهان العامة أم الدارسين، غير أنَّ هذه البساطة وهذا الوضوح في الحقيقة هما سببا عدم إدراك كنه المفهوم بأبعاده ومكوناته وجميع مدلولاته، أو بالأحرى تسطيح المفهوم وعدم فصله أو عزله عن المفاهيم الأخرى المتداخلة معه، والتي قد تضر أو تُعمِّي في كثير من الأحيان إن هي ألحقت به؛ إذ تأخذ بالحوار منحى غير مهدوف إليه كالمناظرة والجدل والنقد.. الخ.

ومن ثم، فإنَّ الوقوف الدقيق على "مفهوم الحوار"، يُجنّب الكثير من الجهد عند المعالجة الإجرائية، من وضع الضوابط والقواعد والآداب التي تحكم عملية الحوار، وأيضا الأهداف والمقاصد التي يتغيَّاها الحوار، وأخيرا الحكم على حوارٍ ما بالفاعلية وعدم الفاعلية أو الفشل والنجاح.

ومع ذلك، يجب مراعاة أنَّ مفهوم الحوار . باعتباره مفهوما فكريا . تختلف النظرة إليه ضيقًا واتساعًا، ولا يمكن بحال ضبطه ضبطا دقيقا؛ بحيث يشمل جميع موضوعاته ومجالاته، ولا كل طرائقه وأساليبه، إذ إنَّ ذلك من الأمور التي يلحقها والتجديد والتطوير ـ غالبا ـ تبعا للزمان والمكان والثقافة.

١. تعريف المفهوم:

أ . التعريف اللغوي:

كلمة " حِوَار" كلمة أصيلة في اللغة العربية، ترِد على عدَّة معان، ويرجع أصلها إلى مادة "حَوْر".

جاء في لسان العرب وغيره أنَّ: الحَوْر: الرجوع عن الشيء وإلى الشيء، والمُحاوَرَة: الْمُجَاوَبَةُ. وَالِاسْمُ مِنَ المُحاوَرَةِ الحَوِيرُ، تَقُولُ: سَمِعْتُ حَوِيرَهما وحِوَارَهما. والتَّحاوُرُ: التَّجَاوُبُ، تقول: أَحَرْتُ لَهُ جَوَابًا وَمَا أَحارَ بكلمة، وكلَّمتُه

فما رد إليَّ حورا أو حويرا، أي: جوابا، وَاسْتَحَارَهُ: اسْتَنْطَقَهُ. والمُحاوَرَة: مراجعة المنطق في المخاطبة، يقال: وهم يتحاورون أي يتراجعون الكلام"[(١)].

هذه خلاصةُ ما جاء في معاجم اللغة العربية في كلمة "حوار"، وبعيداً عن التكلف في الربط بين بعض المعاني اللُّغوية بالمعنى الاصطلاحي الحديث؛ فإنَّ ما يعنينا هنا هو التأكيد على أصالة هذه الكلمة في اللغة العربية، وأنَّها قد وردت بكافَّة تصريفاتها في كلام العرب شعراً ونثراً[(٢)]، ومن قبل ذلك وبعده وردت في القرآن الكريم، في سياق لا يبعد عن الاصطلاح الحديث لها.

كما يعنينا التأكيد أيضاً على أنَّ كلمة "الحوار" في اللغة العربية بما تتضمّنه من معاني: المجاوبة، والتجاوب، ومراجعة المنطق في المخاطبة؛ فإنّما ذلك يدل على عموميتها، بحيث تستوعب أشكالاً أخرى، وأساليب متغايرة من أساليب التخاطب، فقط شريطة وجود شخصين (طرفين) أو أكثر حتى ينعقد التجاوب ومراجعة المنطق في التخاطب.

وأيضاً، فإنَّ كلمتي المجاوبة والمراجعة تظهر حالة الحوار من بُدُوِّ التوافق بين الطرفين أو التناقد والتخالف بينهما وما يستدعيه من أخذ ورد، ودفاع وهجوم، فهو لا يعني ذوبان أحد أطراف الحوار في الطرف الآخر.

وأخيرا فإنَّ لفظ "الحوار" في اللغة بهذه المعاني الواردة، إنَّما يحمل في طيّه معنى سلميّاً بعيداً عن الإكراه والتسلط، مكتفياً بالبيان والمنطق.

ب . التعريف اصطلاحاً:

من الجلي أنَّ الحوارَ أسلوبٌ أو أداةٌ خطابية، له خصوصية مميزة، والتي تفرقه عن باقي أساليب وأدوات الخطاب الأخرى، لكن عند البحث عن تعريف حَدّي للمفهوم نجد بعض الباحثين يميل إلى توسعة في المعنى[(٣)]، وبعضهم يميل

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر، ٢١٧/٤-٢١٨، الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية، ٩٨/١١-١٠٠.

(٢) من ذلك في بيت عنترة الشهير:

فَازْوَرَّ مِنْ وَقْعِ القَنَا بِلَبَانِهِ ... وَشَكَا إِلَيَّ بِعَبْرَةٍ وَتَحَمْحُمِ
لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا المُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... وَلَكَانَ لَوْ عَلِمَ الكَلامَ مُكَلِّمِي

(٣) من ذلك تعريف المناوي للحوار بأنَّه: "المُراددة في الكلام" وتعريف الشيخلي بأنه: "حديث شفهي يجري تبادله بين أكثر من فرد" (يراجع: محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف =

كثيراً إلى التضييق[١]، كما أنَّ منهم من يهتم بإبراز بعض خصائصه وأهدافه، أو إبراز عناصره ومكوناته[٢].

ولعلَّ من أقرب التعريفات وأكثرها قبولاً لمفهوم الحوار، تعريف الدكتورة مُنى اللبودي له بأنَّه: " محادثة بين طرفين أو أكثر، تتضمّن تبادُلاً للآراء والأفكار والمشاعر، وتستهدف تحقيق قدر أكبر من الفهم والتفاهم بين الأطراف المشاركة، لتحقيق أهداف معينة، يسعى المشاركون في الحوار إلى إنجازها"[٣].

فالحوار . كما يَبين من هذا التعريف . محادثةٌ أو عمليةُ اتصال كلامية، وبالتالي فإنَّ أي شكل من أشكال التواصل الأخرى لا يُعدُّ حواراً، وإن كان من غير المستبعد إدخال اللغة الكتابية، في حالة تماشيها مع طريقة الحوار ومقاصده، في معناه ـ وإن مجازاً ـ؛ ذلك أنَّ الحوار إنَّما يبدأ "فقط مع التأمل والتفكير وتبادل الحجج والآراء والمعاني، أو بعبارة أخرى هو التجربة المعيشة بالكلمات وإن كان الاتصال قائماً بين جميع المخلوقات؛ فالحوار هو الشكل الوحيد للاتصال الذي يقتصر على الجنس البشري والقائم بين البشر فقط"[٤].

=على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ، ١/٣٠٠، عبد القادر الشيخلي، أخلاقيات الحوار، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٣، ص١٢).

(١) مثل تعريف الدكتور محمد الكتاني أن الحوار: "سلوك حضاري مبني على منظومة من القيم الكونية، كالقبول بالتعددية والاختلاف واعتبار التعايش بين الأمم والشعوب، والتعاون فيما بينها لرفع تحديات الفقر والأوبئة وتلوث البيئة ونضوب المياه" (ثقافة الحوار في الإسلام من التأسيس إلى التأصيل، الطبعة الأولى، منشورات وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، مطبقة النجاح، الدار البيضاء، ٢٠٠٧م، ص٥).

(٢) من ذلك تعريف الدكتور عبد الستار الهيتي للحوار بأنه: "أسلوب يجري بين طرفين، يسوق كل منهما من الحديث ما يراه ويقتنع به، ويراجع الطرف الآخر في منطقه وفكره؛ قاصداً بيان الحقائق وتقريرها من وجهة نظره" (الحوار الذات والآخر، كتاب الأمة، العدد (٩٩)، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٥هـ، ص٤٠).

(٣) الحوار فنياته واستراتيجياته وأساليب تعليمه، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة وهبة، ٢٠٠٥م، ص١٩، عن محمد مصلح الزغبي، الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩م، ص٤٧.

(٤) د. أميمة عبود، أسلوب الحوار، ضمن الحوار مع الغرب: آلياته، أهدافه، دوافعه، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٨م، ص٧١.

والحوار هو بناء لنص معين، أساس هذا البناء النصي هو المحادثة، ويتكون أي حوار بين متحدث ومخاطب، من أرضية مشتركة هي بمنزلة نسيج من الأفكار المتبادلة، يذوب فيها المرسل والمرسل إليه، ليصبحا شخصاً واحداً متعايشين معاً في العالم نفسه. ومن ثَمَّ فإنَّ التَّواصل أو الاتصال الحواري هو نسيج من المعطيات والأفكار التي يتولد عنها معطيات وأفكار أخرى إلى ما لا نهاية، فكل من المتخاطبين هو منتج لأفكاره ومستهلك لأفكار الآخرين، ... وتنقسم أشكال التواصل إلى اتصالٍ مُضاد وهو نوع من المحادثة لا تذهب إلى أبعد من الصراع، واتصال عاديّ، واتصال خلَّاق إبداعي من أجل توليد أكبر قدر من التفاهم المشترك، وهنا يقع الحوار في التواصل الخلاق والإبداعي(١).

٢. المفاهيم المتداخلة مع الحوار:

تختلط بمفهوم الحوار بعض المفاهيم الأخرى، والتي يحسُن توضيحها حتى تظهر خصوصية الحوار بشكلها الجلي، ويستبين تبعاً لذلك أهدافه ومراميه، ولعلَّ أبرز هذه المفاهيم يتمثل في: المناقشة، والمجادَلة، والمناظرة، والمفاوضة.

وإذا كان أشهر مفهوم يختلط بالحوار وأكثرهم التباساً به هو مفهوم الجدال(٢). حتى إنَّه في كثير من الأحيان يعبر عن أحدهما بالآخر؛ فإنَّ الحق أنهما مفهومان متمايزان؛ ذلك أنَّ الحوار إنما هو "شكل من أشكال التعاون بين جانبين أو أكثر تجاه هدف مشترك، بينما الجدال هو شكل من أشكال التعبير عن المعارضة، فهناك جانبان كل منهما ضد الآخر، ويحاول كل منهما أن يثبت خطأ الآخر"(٣).

(١) د. أميمة عبود، أسلوب الحوار، المرجع السابق، ص٧٢-٧٣.

(٢) يعرف الجدل في اللغة بأنه: اللَّدَدُ في الخصومَةِ، والقُدْرَةُ عليها (الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٥م، ص٩٧٦) وفي الاصطلاح كما عند الجرجاني: "دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة أو شُبهة، أو بقصد تصحيح كلامه" (الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م، ص٧٤).

(٣) د. أميمة عبود، أسلوب الحوار، مرجع سابق، ص٨١.

"فكلمة "الحوار" تتَّسع لكل أساليب التخاطب، سواء كانت منطلقة من وضع لا يوحي بالخلاف أو يوحي به ... بينما كلمة "الجدال" تختزن في داخلها معنى الخلاف والشِّجار، وتحمل في عمقها أيضاً معنى التحدّي والصراع، الذي يبتعد عن العدوانية والسادية، لذلك كان التصنيف المتوازن: جدال بالتي هي أحسن، وبغير التي هي أحسن"[١].

وسواء كان الجدل في صورته المحمودة "بالتي هي أحسن" أم في صورته المذمومة بغير التي هي أحسن؛ فإنَّه يبقى نوع من المخالفة والمجاهدة، وشكلاً من أشكال الصراع، وإن كان صراعاً فكريًّاً، إلا أنَّه إمَّا أن ينتهي بإحراج أحد الطرفين وإثبات خطئه وثنيه عن آراءه، وإلا فإنه لم يحقق مراده، فالجدل دفاع وهجوم، ونقض ونقد، وتصيُّد للخصم بإلزامه وإفحامه.

أمَّا الحوار فإنه مبني على قاعدة أخلاقية عامة بين الطرفين أو قاعدة مشتركة بينهما، ويكون هدفه في النهاية هو التوصل إلى نتيجة مُرضية لكلا الطرفين، وربما عَمِلا جهدهما في استخراج آراء وحلول مختلفة عن تلك التي ابتدأ بها الطرفان، إذ طريقهما التعاون . وليس التضاد . في الوصول لأفضل الحلول وأكثرها تفضيلاً لكلا الطرفين.

ومع هذا التباين والتمايز بين الجدال والحوار، إلا أنهما يلتقيان في أنَّ كليهما مراجعة للكلام بين طرفين ـ وهذا منشأ التداخل بينهما، ثم يفترقان في أسلوب المراجعة ومُرادها.

وتظهر أهمية التفريق بين الجدل والحوار هنا في تمييز لغة الحوار، وطريقة إجرائه، والاستعداد النفسي للمتحاورين، ووضوح الغاية من الحوار.

وأيضاً من المفاهيم الملتبسة بالحوار مفهوما: (المفاوضة) [٢]، و (المناظرة) [٣]، أما (التفاوض) أو المفاوضة فإنها تفترق عن الحوار، في أنَّ الأطراف

---

(١) محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٤م، ص٨.

(٢) يُعرَّف التفاوض بأنَّه: "موقف تعبيري حركي، قائم بين طرفين أو أكثر حول قضية من القضايا، يتم من خلاله عرض وتبادل وتقريب ومواءمة وجهات النظر، واستخدام كافة أساليب الإقناع للحفاظ على المصالح القائمة، أو للحصول على منفعة جديدة بإجبار الخصم بالقيام بعمل، في إطار علاقة الارتباط بين أطراف العملية التفاوضية (انظر: د. محسن أحمد الحضري، مبادئ التفاوض، الطبعة الأولى، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٣م، ص٢١).

(٣) تعرف المناظرة بأنها: لغة: من النظير، أو من النظر بالبصيرة، واصطلاحا هي: =

المشتركة فيها يريدون أن يحققوا مصالحهم الخاصة، بكل الوسائل المتاحة، من حجج بلاغية وعقلانيَّة ودبلوماسيَّة، أي كل الأساليب الشفاهية والتعبيرية، وتنتهي المفاوضة بنوع من توفيق الأوضاع أو تسوية الخلافات حول المصالح المتفاوض بشأنها، بشكل يقبله كل الأطراف.

أما المناظرة، فهي ليست كالجدال أو النقاش الهادئ، فهي لا تسمح للأطراف بالانخراط في العمل المتبادل من أجل شرح وتوضيح موضوع النقاش، حيث لا يرى المُجادل أو المتخاصم الطرف الآخر أنه شريك في البحث عن الحقيقة، ولكن كطرف مناوئ أو خصم أو عدو على خطأ، ويصبح الهدف هو انتصار أحد الطرفين وكل ما يؤمن به من أفكار [١].

أمَّا الحوار فهو نوعٌ من البحث عن المشترك، والأصلح لكلا الطرفين، ومن ثمَّ فليس هدفه تغليب أحد الرأيين، أو التحصُّل على مصلحة لأحد الطرفين من دون الآخر، وسواء كان ما توصل إليه الحوار وجهة نظر أحد المتحاورين، أم رأي ثالث أنتجه الحوار.

وهناك أيضاً مفهوم المناقشة[٢]، حيث يتداخل مع مفهوم الحوار في الجانب المادي من تعدد الأطراف ومراجعة الكلام بينهما، لكن الخلاف يتبدَّى في الجانب المعنوي فيهما؛ ففي المناقشة يحمل كل الأفراد مواقف ثابتة ويتناقشون من أجل إثبات وجهات نظرهم وإقناع الآخرين بالتغيير، على الأقل ينتج من المناقشة نوع من الاتفاق أو الحلول الوسط، دون أن يؤدي النقاش لأي ناتج إبداعي أو خلاق، فالمناقشة تقوم على أساس استقصاء الحساب، وتعرية الأخطاء وإحصائها، ويكون هذا الاستقصاء في العادة لمصلحة أحد الطرفين فقط، الذي يستقصي مُحصياً ومستوعباً كل ما له على الطرف الآخر، بينما يكون الهدف الرئيسي للحوار إعادة بناء نوع من الوعي الجماعي الأصيل والخلَّاق. فعمليّة الحوار هنا تشبه نوعاً من اليقظة، ويستتبعُها فيض من المعاني المشتركة بين أطراف الحوار"[٣].

="النظر بالبصيرة من الجانبين في النسبة بين الشيئين إظهاراً للصواب" (الجرجاني، التعريفات، مرجع سابق، ص٢٣٢).

(١) انظر: د. أميمة عبود، أسلوب الحوار، مرجع سابق، ص٨٢.

(٢) المناقشة بمعنى المحاسبة والاستقصاء (ابن منظور، لسان العرب، ٣٥٨/٦).

(٣) يراجع: د. أميمة عبود، أسلوب الحوار، صن٨١، بسام داود عجل، الحوار الإسلامي=

٣. مكونات الحوار:

يتكون الحوار . بداهة . من عنصرين أساسيين **هما:** أطراف الحوار، وموضوع الحوار. ومن البدهي كذلك تعدد أطراف الحوار، بدءًا من وجود محاور واحد في كل طرف وبغير انتهاء بحصر أطراف الحوار في عدد معين، وأيضاً فإنَّ كل طرف من أطراف الحوار قد يكون وجوده تمثيلاً عن نفسه وشخصه، أو نيابة عن آخر، وهذا هو الحوار الشخصي، وأيضاً قد يكون كل طرف من أطراف الحوار ممثلاً لموضوع معين خارج دائرة الأشخاص، وهذا هو الحوار الموضوعي.

"فالأصل في الحوار الكلامي أنه تبادل ثنائي الاتجاه بين طرفين . أو أكثر . يتناول كلاهما دور المرسل والمستقبل بأقدار متناسبة أو شبه متناسبة ولكن ليست متساوية بالضرورة بل تحتمل الخلل لدرجة ما، أما إذا تفاقم الخلل وبحيث يتحول طرف ما إلى مرسل فقط، بينما يتحول الآخر إلى مستقبل فقط، فلا تُعد مثل هذه العملية حواراً لافتقارها للتبادل"(١).

ومع ذلك . وعلى كل الأحوال . فإنَّ على كل طرف من أطراف الحوار التزام بآداب الحوار وشروطه وموضوعه.

أما الركن الثاني أو العنصر الآخر في عملية الحوار فهو موضوع الحوار ذاته، والذي يكون مُعدَّاً ومُتفقاً عليه في السابق قبل إجراء الحوار، ومع هذا فإنَّ موضوعات الحوار ومجالاته تتعدد وتتنوع . كما سيأتي معنى . بحيث يمكن الجزم أن كل الموضوعات الإنسانية والحياتية، سواء كانت شخصية أم فكرية، وحتى الأمور الخياليَّة تكون موضوعاً للحوار، فالمدركات وغير المدركات، والماديات والمعنويات كلها صالحة لعمل حواري.

ومن الضروري هنا التأكيد على أنَّ موضوع الحوار ليس بالضرورة أن يكون مُراده حل نزاع أو يدور حول خلاف معين، سواء كان شخصي أو موضوعي، وإنّما يكون أيضاً . بل في معظم أحيانه . حول أمور تعاونية وليست خلافيّة.

= المسيحي المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة، ١٩٩٨م، ص٢٢.

(١) عبد الملك منصور المصعبي، حوار الحضارات: المفهوم والمقومات، ضمن أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار الحضارات، تونس، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٥م، ص١٨-١٩.

وإذا كان هذان الركنان يعتبران مكونين أساسيين للحوار، فهناك مكون ثالث لا يقلُّ أهميَّة عن هذين المكونين، **وهو** لغة الحوار أو أسلوب الحوار والذي يعتمد من حيث الجوهر على "التبادل السلمي للأفكار والآراء والمعلومات، ومن حيث الشكل يتم هذا التبادل من خلال التفاعل الكلامي أو التفاعل غير الكلامي، والمعنيُّ بالتفاعل الكلامي: هو التفاعل القائم على تبادل الرموز اللُّغوية، سواء كانت ألفاظاً أو إشارات لُغوية، وسواء تم التبادل شفاهاً أو كتابة، وبطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وعادة ما يكون القصد من التفاعل الكلامي تبادُل الآراء والأفكار والمعلومات بشكل أكثر وضوحاً، ويمكن تمييز الحوار القائم على هذا النوع أو القول إذا ما تمّ التبادُل بشكل عفوي وعادة غير رسمي، ويعرف باسم الحوار إذا كان التبادل متعمداً ومنظماً، وأحياناً رسمياً، وهذا المعنى الأخير، أي التبادل السلمي المتعمد والمنظم للآراء والمعلومات من خلال الألفاظ اللُّغويّة أو نادرا، من خلال الإشارات اللُّغويَّة، هو ما يتبادر إلى الذهن عند إطلاق لفظ الحوار"[(١)].

٤. شروط الحوار:

مهما تكن طبيعة موضوع الحوار، ومهما تكن طبيعة أشخاصه المتحاورين؛ فإنَّه يجب الالتزام ببعض الشروط التي من دونها لن يحقِّق الحوار هدفه ومبتغاه، كذلك فإنَّه يلزم لإجراء الحوار التقيُّد ببعض القِيَم والآداب التي تضبط عملية الحوار وتُحافظ عليه، لكن مع كثرة الكتابات والنقاشات حول قيم الحوار وآدابه، فإننا نكتفي هنا بذكر بعض الشروط الأساسيَّة الضابطة لعمليَّة الحوار، والتي يمكن اعتبارها شروطاً كلية، تحوي كثيراً من المضامين الجزئية، والتي تتصل مباشرة بطرفي الحوار، وموضوعه، وأسلوب إجرائه. وهذه الشروط تتمثل في:

أ . إتاحة الحرية الكاملة للمتحاورين:

إذا كان هدف الحوار هو التوصُّل لقناعة مشتركة لطرفي الحوار بالنتيجة التي تمَّ الوصول إليها، فإنَّ هذه القناعة لن تتأتَّى ما لم تكن قائمة على اختيار حر من دون ضغط أو إكراه لأحد الطرفين، كما أنَّ الحوار باعتباره . في الأصل . موضوعاً فكرياً، يتطلب التفكير الجاد وتبادل الآراء والخبرات والأفكار حول

(١) عبد الملك منصور المصعبي، حوار الحضارات، المرجع السابق، ص١٨.

موضوع ما، فإنَّه لن يكونَ حواراً فاعلاً ما لم يُدلِ كلُّ طرف فيه بآرائه بحرية كاملة.

فالحريّة عامل مهم في تأسيس النظر على معطيات سليمة، بالوقوف جميعها دون حجر أو منع من أحد، وهي عامل مهم أيضاً في القدرة على إبداء ما في قرارةِ النفس من الحقائق، سواء كان ضد قيود الذات أو في مقابل الغير، فحينما يكون العقل حراً على مستوى النظر؛ فإن كل المعطيات متوافرة أمامه(١) للتوصل إلى النتيجة التي يراها الأجدر بالاتباع والاقتناع.

إنَّ الحريَّة التي يتطلَّبُها الحوار إنَّما هي الحرية بمعناها الكامل، حرية مادية، حيث لا يمارس أي نوع من أنواع الضغوط أو الإكراه على أحد الطرفين، وحرية معنوية وفكرية حيث يستطيع إبداء ما يشاء من الآراء، ومناقشة ما شاء، ورفض ما شاء منها؛ حرية من المتسلط الخارجي فلا يتسلط عليه أحد، ولا يتحاور متقيداً بقيد أحد، وحرية من المتسلط الداخلي، فلا يميله هواه أو تؤثر فيه رغباته.

وسواء كان أطراف الحوار ممثلين لأشخاص أو ثقافات أو حضارات أو أديان؛ فليس من المُرتجى نجاح عملية الحوار من غير أن يتمتع كل طرف بشيء من الاستقلاليّة، التي تُعينهم على مناقشة ما يجب مناقشته من آراء، واتخاذ ما يجب اتخاذه من قرارات.

"وإذا كان الإسلام يؤكد على الحوار من أجل الوصول إلى الحقيقة بطريقة علمية موضوعيّة، فإنّه يركز على حماية حرية المحاور في طرح فكره المضاد بطريقته الخاصّة، حتى لو خالف العقيدة العامة للناس، وليس لأحدٍ الحق في اعتراضه ومقابلته بعناصر الإثارة الانفعالية، كأن يتهم بالكفر والضلال والزندقة والمروق عن الدين، وما إلى ذلك من الكلمات المثيرة، التي تدفع الغوغاء للإساءة إلى المفكر"(٢).

ب . تحديد مضمون الحوار:

من الشروط المهمة والأساسية كذلك، ضرورة تحديد مضمون الحوار بدقَّة، هذا التحديد الدقيق من شأنه ضبط عملية الحوار أولاً، فلا يخرج الحوار عن

(١) إبراهيم شوقار، منهج القرآن في تقرير حرية الرأي، الطبعة الأولى، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ٢٠٠٢م، ص١٢١.
(٢) محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص١٤.

مضمونه ومُراده؛ ومن ثم يكون النقاش وإبداء الرأي منتجا ومنصباً على ذات الموضوع فلا يتشعب إلى طرائق ومواضيع أخر.

ومن شأن هذا التحديد ثانياً، أن يطَّلع طرفي الحوار ويكونا على علم مسبق بطبيعة وموضوع الحوار، فيستطيع كل طرف أن يُعِدَّ نفسه مسبقاً من ناحية، كما يلتزم بحدود الموضوع من ناحية ثانية، وأخيراً يستطيع أن يحدد مواضع الخلاف ومواضع الاتفاق فلا يكون الحوار مبنيا على جهل بالموضوع أو التباس حوله، وإلا تحول من حالة حوار إلى حالة جدال مذموم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ ۝٨﴾ [الحج: ٨].

كما أنَّ من شأن هذا التحديد ثالثًا أن يجعل غاية الحوار واضحة بيِّنَه، ومن ثم يسهل الحكم على مدى جديَّة الحوار وهزله، ونجاحه وفشله، من خلال الالتزام بموضوعه وتحقيق غايته ومراده.

غير أنَّ الالتزام بموضوع الحوار لا يعني بالضرورة التزاماً مطلقاً بحيث يصير من غير المسموح به بعض الاستطرادات أو الخروج اللطيف عن هذا المضمون، إذ الأصل في الحوار أنه حديث ودي ذو طابع إنساني، وبالتالي فليس من حرج في هذه الاستطرادات ذات الطابع الإيجابي والتي لا تؤثر سلبا على موضوع الحوار وغايته.

جـ . سلمية الحوار وعدم التعصب:

الأصل في الحوار أن يقوم على أساس المساواة والتكافؤ بين الأطراف المتحاورة، هذه المساواة تعني عدم أفضليَّةٍ لطرف على آخر، كذلك عدم الحكم المُسبق لصحة أحد الآراء من غير تمحيص تبعاً لقائل هذا الرأي ومتبنيه، وبالتالي تضمن عدم تعالي أحد الطرفين على الآخر، وعدم التعصُّب لرأي أو محاولة إلزام الطرف الآخر برأي معين أو نتيجة محددة.

هذه المساواة هي أساس اعتراف كل طرف بالآخر، اعترافاً بكامل حقوقه، وفُرَصه في الحوار، وربما أدت أخيراً إلى الأُلفة أو على الأقل التسامح والتقبُّل، ومن ثم يجري الحوار في جو من السلميَّة ونبذ العصبيَّة.

والحق أنَّ الحوار لا يمكن أن يُؤدي ثماره إذا تعارض مع السلميَّة، أو التزم كل طرف برأيه وأحب إلزام الآخر به؛ فهذه السلميَّة في طريقة التحاور كفيلة

بخلق جو من الهدوء النفسي الملائم لاستجلاب الأفكار، وتوفيق النزاعات، ولعلَّ هذه الطريقة، هي المجادلة بالتي هي أحسن المأمور بها.

"وقد حدد لنا القرآن الكريم ذلك فيما نقله لنا من أسلوب النبي ﷺ في الحوار مع خصوم العقيدة، عندما واجهوه بتهمة الجنون، فقد دعانا إلى أن نتجرَّد عن هذا الجو الانفعالي، إذا ما أردنا أن نتبنَّى فكرة أو نرفضها أو ننسجم مع موقف أو نبتعد عنه، قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ [سبأ: ٤٦].

فقد اعتبر القرآن الكريم اتهام النبي ﷺ بالجنون إخضاعاً للجو الانفعالي الذي كان يسيطر على التجمع العدائي لخصومه آنذاك، مما جعلهم لا يملكون ما يستطيعون أن يزنوا به صحة القضايا وفسادها، بل ظلت أفكارُهم صدى الأفكار الآخرين، ولذلك دعاهم إلى الانفصال عن هذا الجو المحموم، بأن يتفرَّقوا مثنى وفُرادى في موقف فكر وتأمل، يُرجع إليهم أفكارهم وشخصياتهم، ليصلوا إلى النتيجة الحاسمة بأسرع وقت"[١].

(١) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: قواعده أساليبه، محيطاته، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٦م، ص٧٥.

المبحث الثاني

فلسفة الحوار

(المنطلقات والضرورة)

مقدمة:

إذا كانت الفلسفة في معناها العام لا تعدو أن تكون أكثر من العلم بحقائق الأشياء، أو بمعنى آخر العلم بطبيعة الشيء على ما هي عليه، فإنَّ فلسفة الحوار إنّما مقصودها الوقوف على طبيعة الحوار وماهيته، والتي لا يُنبئ عنها أكثر من معرفة أصوله ومبادئه، والنظر في مدى ضرورته أو الحاجة إليه.

ومن ثَمَّ فإنَّ هذا المبحث إنَّما يهدف إلى كشف حقيقة الحوار وطبيعته؛ بدءاً من الجذور أو المنطلقات، والتي أودت إلى صبغ الحياة بالطابع الحواري، وعليها لم يكن ثمة مفر من اللجوء إلى الحوار، وانتهاءً بتجلية قيمة الحوار وأهميته في الحياة المعاشة.

١. أسس الحوار ومنطلقاته:

الحقيقة أنه ليس من بُدٍّ من لجوء الإنسان فرداً أو جماعة إلى الحوار، سواء كان عن رغبة منه أو عن غير رغبة؛ ذلك أنَّ طبيعته وفطرته التي جُبل عليها تُلجئانه إلى هذا الحوار، كذلك فإنَّ السنن الكونيّة، والنسق الحياتي الذي خلق الله عليه الخلق، قد جعلا الحوار شرطاً لبُنيان الحياة الطبيعية، ومن هنا فإنَّ أبرز منطلقات الحوار ومقدماته تتجلى من خلال:

أ . مدنية الإنسان:

فالإنسان كما خلقه الله مفطورٌ على الاجتماع ومحتاجٌ إليه، لا يستقلُّ بتحصيل مصالحه، ولا يستغني عن بني جنسه، وفي تفسير ذلك ـ عن ابن خلدون كما جاء في المقدمة ـ حيث إنَّه "لا تمكّن حياة المنفرد من البشر، ولا يتمّ وجوده إلّا مع أبناء جنسه، وذلك لما هو عليه من العجز عن استكمال وجوده وحياته، فهو محتاج إلى المعاونة في جميع حاجاته أبداً بطبعه، وتلك المعاونة لابدّ فيها من المفاوضة أوّلاً، ثم المشاركة وما بعدها. وربما تقضي المعاملة عند اتحاد الأغراض إلى المنازعة والمشجرة، فتنشأ المنافرة والمؤالفة، والصداقة

والعداوة، وتؤدي إلى الحرب والسّلم بين الأمم والقبائل، وليس ذلك على أي وجه اتّفق، كما بين الهمل من الحيوانات، بل البشر بما جعل الله فيهم من انتظام الأفعال وترتيبها بالفكر، جعل ذلك منتظما فيهم، ويسَّرهم لإيقاعه على وجوه سياسية وقوانين حكمية، ينكبون فيها عن المفاسد إلى المصالح ... ويستفيد كل واحد من البشر القدر الذي يسّر له منها، مقتضياً له بالتجربة بين الواقع في معاملة أبناء جنسه، حتى يتعين له ما يجب، وينبغي فعلاً وتركاً، وتحصل بملابسته الملكة في معاملة أبناء جنسه"(١).

فالحوار إذن أمر طبيعي ولصيق بمدنية الإنسان، حيث يلزمه في كافة تعاملاته واحتياجاته، وما ينشأ عن هذه المعاملة من نزاع وشقاق، أو مودة واقتراب، ففي كل الأمور ينشأ حوار ولعل هذا هو أحد أسرار منَّة الله على الإنسان إذ علَّمه النطق والبيان مع أول خلقه ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ۝٤﴾، وهو أساس تمكين الله الإنسان في الأرض، وجعله من لوازم خلافته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾.

ب . حتمية الاختلاف والتعدد:

فالاختلاف والتعدد بين البشر من الأمور الحتمية، والسُنن الفطرية التي لا يمكن الخروج بحال عن قانونهما من ناحية، كما أنّهما من الأمور المحمودة غير المسيئة لهم من ناحية ثانية، هذا الاختلاف اللازم المقضي به والمراد لهم كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] إنما علَّته، حيث يريدهم أن يُحسنوا التعامل مع هذا الاختلاف فيجعلونه أداة لصالحهم، حيث استغلال هذا التنوّع المُحكم.

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: "خلقهم مستعدين للاختلاف والتفرقة في علومهم ومعارفهم وآرائهم وشعورهم، وما يتبع ذلك من إرادتهم واختيارهم في أعمالهم، ومن ذلك الدين والإيمان والطاعة والعصيان...، فالاختلاف طبيعي في

(١) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م، ١/٥٩٤-٥٩٥.

البشر وفيه من الفوائد والمنافع العلمية والعملية، ما لم تظهر مزايا نوعهم بدونه"(١).

هذا الاختلاف يبدأ من حيث تباين اللون واللسان، فيفترق الناس إلى قوميات وأجناس مختلفة كما قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٢]، ثم افتراق إلى شعوب وقبائل، كما قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣]

وأيضا فهذه التعددية "تثمر التمايز الذي يدعو القرآن إلى توظيفه في إقامة علاقات التعارف بين الفرقاء المتمايزين في "الشرائع والمناهج" ومن ثم في "الحضارات" ـ فضلا عن أمم الرسالات الدينية ـ هذه التعدديّة يراها القرآن الكريم الأصل الدائم والقاعدة الأبديّة والسنة الإلهيّة، التي هي الحافز للتنافس في الخيرات، والاستباق في الطيبات، والسبب في التدافع الذي يُقوّم ويُرشِّد مسارات أمم الحضارات على دروب التقدم والارتقاء ... فهي المصدر والباعث على حيوية الإبداع الذي لا سبيل إليه إذا غاب التمايز وطُمِست الخصوصية بين الحضارات: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة: ٤٨]؛ فالتعددية هي الحافز على امتحانات وابتلاءات واختبارات المنافسة والاستباق، في ميدان الإبداع بين الفرقاء المتمايزين في الشرائع والمناهج والحضارات"(٢).

إنَّ هذا الاختلاف ما لم يُحسن إدارته فإنه يؤدي إلى حالة شجار ونزاع، أو أحسن أحواله سوف يُحال إلى فوضى، ومن ثم فإنَّ إحالة هذا الاختلاف إلى ائتلاف وتعاون ـ اللازمين للحياة الطبيعية ـ يحتاجان إلى نوع من التحاور والتفاهم، والسعي إلى تعظيم المشترك، سواء في حالة اختلاف الأشخاص والأجناس حيث جَعْل هذا الاختلاف مدخلاً للتعارف بينهم، أو في حالة اختلاف الموضوع كالأفكار والأديان؛ حيث العمل على الاستفادة من هذا الاختلاف

(١) العلامة محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ١٨٣/١٢.

(٢) د. محمد عمارة، الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في أطار الوحدة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م، ص١٠.

لاستباق الخيرات ومحاولة التوصل للحق: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَىٰ سَبِيلًا ﴿٨٤﴾﴾.

إنَّ الاعتراف بحقيقة ضرورة الاختلاف، إنّما هو في الواقع التطبيقي إنّما يعني الاعتراف بأحقية الآخر في أن يكون مختلفاً، والذي ينبني على ذلك هو التقبُّل الكامل له، مهما كانت طبيعة هذا الاختلاف، ومهما تكن نتيجته، وهذا التقبل يعني عدم التسلط على الآخر في محاولة تغييره، ولا يتأتى هذا . في عرف التقبُّل . إلا من خلال تحاور عن رضا كليٍ من غير تعد أو إكراه، في ظل العدالة والمساواة والاحترام المتبادل.

جـ . وحدة الإنسانية والمشترك الإنساني:

تمثل وحدة الإنسانية منطلقاً أساسياً من منطلقات الحوار، فوحدة الإنسانية تحتم الحوار من أجل القضاء على الاختلافات الظاهرة، والعودة إلى وحدة الأصل (١).

ففي إطار هذه الوحدة تعددت وتمايزت واختلفت الأجناس والألوان والأمم والشعوب والقبائل والألسنة واللغات والقوميات والحضارات...الخ ... أنواع وألوان من التعددية في إطار الإنسانية الواحدة والبشرية التي يرجع إليها وينتسب الجميع.

وإذا كان هذا التمايز والاختلاف بين الجماعات والشعوب والقبائل، هو تنوّع في إطار جامع الإنسانية الواحدة، فإنَّ المنطق القرآني قد جعل حكمته في التعارف والتفاهم والتحاور بين بني الإنسان، وهو منطق مؤسس لفلسفة إنسانية ترفض التعصب للعنصر والجنس ضد بقية الأجناس، وتنكر دعاوي احتكار الفضائل في أمة بعينها دون الأمم الأخرى، وترى الفضائل والرذائل مشاعاً بين كل الأمم والشعوب، تتفاوت فيها الكسب والتدافع والاستباق، فتعدل مواريثها منها، وتتفاوت أرصدتها فيها، دون أن تكون حظوظها منها طبعاً وجِبلّه يستعصيان على التعديل والتغير (٢).

(١) انظر: د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، الطبعة الأولى، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٨م، ص٢٤.
(٢) انظر: د. محمد عمارة، الإسلام والتعددية، ص١٠٧-١٠٩.

٢. ضرورة الحوار وأهميته:

الحوار الإنساني ليس فقط من الأمور الحياتية المهمة، وإنما هو أحد الضرورات التي لا يمكن تصور الحياة بدونه، وذلك في كل المجالات الحياتية ـ مهما دقت أو جلت ـ حتى في ذروة الاشتباك الحياتي، وتنامي الأمور بين المتخالفين إلى مرحلة الاحتراب، فإنّه عادة ما يُلجأ إلى الحوار في النهاية، كمخرج أوحدٍ وملجأ أخير.

وإذا ما تجاوزنا نظرة الضرورة المُلجئة للحوار، فإنَّه يبقى للحوار أهميته والتي ينتج عنها أعظم الثمار، في حالة إذا ما أُحسن الاستفادة به مع الالتزام بشروطه وآدابه وضوابطه؛ يتجلى ذلك على مستوى الإنسان كفرد أو على مستوى الجماعة ككل، وأيضا يتجلى في كل الجوانب الحياتية الطبيعية والفكرية الروحية.

وبعيداً عن التفصيل حول مدى أهمية الحوار . على المستوى الفردي والجماعي . فإنني أكتفي هنا بذكر بعض النقاط التي يتبدّى فيها تجليات الحوار وأهميته من غير استهداف لحصر أو استقصاء. من هذه الأمور:

أ ـ الحوار سبيل التعارف الإنساني:

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "إذا كانت العلَّة والهدف من تنوُّع الخلق هو التعارف والتعايش والتفاهم تحقيقاً لسنة الله في التدافع والتكاثر والتنامي، والذي لا يمكن أن يكون إلا بالتنوُّع، فإنَّ الحوار بأشكاله ومُسمياته ومصطلحاته المتعددة يصبح من لوازم الحياة وضمان استمرارها، وإقامة العمران، والاضطلاع بأعباء الاستخلاف البشري الذي يقتضي الاضطلاع به التعارف والتعاون والتعايش والتدافع"[(١)].

فالحوار هو السبيل الأمثل للتعرُّف على الآخر، ومعرفة حقيقته، وتصحيح الصورة الذهنية المسبقة عنه، ذلك أنَّ الحوار يقتضي الالتقاء وتداول وجهات النظر بشكل مباشر بعيدا عن الوساطات التي قد تُضفي انطباعها النفسي عن الآخر في كثير من الأحيان، ومع تعدد هذه الوسائط وتعدد الانطباعات فإنَّ ذلك قد يحدث تشويها كاملا لصورة الآخر.

(١) مقدمة كتاب الحوار، الذات والآخر، د. عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص٥.

وسواء كان التحاور على المستوى الفردي أم الجماعي، فإنَّه يسهم أفضل إسهام في التعرف على المحاور فردا أو جماعة، مما يُسهل معرفة مدى إمكانية التعاون بين الطرفين، ويُعين على تفهم مناطق التعاون وحدوده وجدواه.

هذا التعارف بما يعنيه من تقليص الفجوة المعرفية بين الفُرقاء، كفيل بتحقيق التقارب والتسامح، والتعايش السلمي، واحترام الخصوصية، وتجاوز التعالي والتصارع الشخصي أو الحضاري.

ب . تقليص شقة الخلاف:

الحوار أحد الأدوات المهمة في تقليص شقة الخلاف، ودرء مفاسده، وليس مقصود الخلاف هنا . ضرورةً . هو الاختلاف الطبيعي المفطور عليه الناس والأشياء، وإنّما هو الجانب السلبي منه المؤدي إلى التناحر والشقاق أو مجرد الكراهية والبغضاء.

"إنَّ تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة، فئات أو أفراداً يفضي مع مرور الزمن إلى تقلص شقة الخلاف بينهم، وذلك لدخول هذه الأطراف في استفادة بعضها من بعض، حيث إنَّ هذا الطرف أو ذاك قد يأخذ في الانصراف عن رأيه متى تبين له، عند مقارعة الحجة بالحجة، ضعف أدلته عليه، ثم يتجه تدريجياً إلى القول برأي من يُخالفه، أو يأخذه على العكس من ذلك، في تقويَّة أدلته متى تبينت له قوة رأيه، مُستجلباً مزيد الاهتمام به من لدن مخالفه، حتى ينتهي هذا المخالف إلى قبوله والتسليم به، وهكذا، فإذا أنزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرِّق، فإنَّ الحوار ينزل منزلة الدواء الذي يشفى منه"(١).

جـ . كسر الجمود الفكري والروحي والثقافي:

فإنّه ما لم تتلاقح الأفكار، وتتحاور الثقافات، فإنّه يظل الفكر حبيس الرأي الواحد، والثقافة الواحدة حبيسة نفسها لا تتجدد ولا تتنامى، ومن الطبيعي مع هذا الانغلاق الفكري والثقافي وحتى الديني، أن يتعاظم التعصب والجمود، وتتبدّى النظرة العلوية للنفس مع عدم التقبل، وربما عدم الاعتراف أصلاً بالآخر.

ولا شك أنَّ من "إيجابيات الحوار، حتى لو كان قاسياً في صراحته، حاسماً في موقفه، هي أنَّه يكسر الجمود الفكري والروحي والثقافي، الذي يُمثله الاستغراق في الذات أو في الانتماء أو التقليد، ليتحوّل الإنسان إلى حالةٍ متحجرةٍ جامحة لا تملك أيّة حيويّة، أو حركيّةٍ في اتجاه احتمالات التفكير الآخر، أو

(١) د. طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م، ص٢٠.

إمكانات التغيّر والانتقال في المستوى الثقافي من موقع إلى موقع، ومن انتماء إلى آخر"[١].

"إنَّ الحوار يُسهم في توسيع العقل وتعميق مداركه بما لا يوسِّعه ولا يعمِّقه النظر الذي لا حوار معه، إذ الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين، وليس النظر من جانب واحد كالنظر من جانبين اثنين؛ فمعلومٌ أنَّ العقل يتقلب بتقليب النظر في الأشياء، وأنَّه على قدر تقلبُّه، يكون توسُّعه وتعمُّقه، والعقل الذي لا يتقلب ليس بعقل حي على الإطلاق، والعقل الذي يبلغ النهاية في التقلب هو العقل الحي الكامل، وإذا كان الأمر كذلك لزم أن يكون تقلُّب العقل في حالة النظر من جانبين ضِعف تقلُّبه في حالة النظر من جانب واحد، فيكون عقلاً أوسع وأعمق ... ومعلوم أنَّ في الازدواج من الكثرة ما ليس في الاجتماع، بحيث تزداد سعة العقل وعُمقه درجات كثيرة في حالة الازدواج منهما في حالة الاجتماع"[٢].

د . تنويع الرؤى في الوصول للحقيقة:

فالحقيقة وإن كانت جوهرا واحدا لا تتغير ولا تتبدل، إلا أنَّ موقع الإنسان فردا أو جماعة هو موقع جزئي يتغير في الزمان والمكان، وهذا يعني نسبيّة الرؤية، ونسبيّة الموقع، ونسبيّة التطبيق. والعقل المسلم يتعامل مع الحقيقة من مواقع البشر أفرادا وجماعات، ويفرق بذلك في التعامل والمناهج بحسب الحاجات وبحسب المواقع... ولهذا وإن تمتع العقل المسلم بالوحدة الكلية، فإنه يتمتع بالتعدد والتباين والتفاوت بحسب الحاجة وبحسب الموقع في الزمان والمكان دون أن يفقد القاعدة أو الدليل.

ومن منطلق الإرادة الإنسانية ونسبيَّة الموقع من الحقيقة، يتمتع العقل المسلم بالرحابة والتسامح الذي يضمن حريَّة المعتقد والفكر، وتعدد المواقف الفكرية والتطبيقية وتفاوتها[٣].

فمهما كانت الحقيقة واحدة أو مُطلَقة، فإنَّ طرق الوصول إليها ليس ضرورة أن يكون طريقاً واحداً، وإنّما تتعدد وتتنوع الطُّرق الموصلة لهذه الحقيقة، وطرق النظر إليها، وكذلك مدى أهميتها في سُلَّم أولويات الحقائق.

---

(١) محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص١٧.
(٢) د. طه عبد الرحمن في أصول الحوار، مرجع سابق، ص٢٠-٢١.
(٣) د. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الطبعة الثانية، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٩٢م، ص١٣٨.

وإذا كان أحد مزايا الاختلاف، هو بث المعارف حول طرق الحقيقة، فإنّ هذا الاختلاف يكون أكثر فاعلية إذا ما أُدخل دائرة الحوار، فهذا الحوار كفيل بكشف مواطن الضعف في هذه الرؤى، من ناحية، وإتمام نقص بعضها من ناحية ثانية، وربما خرج بالطريق الأنسب الموصل إلى الغاية المرادة من الناحية الثالثة.

إنّ استحالة استحواذ كامل الحقيقة واحتكارها ـ في شتى المجالات ـ لفرد أو مجتمع، تُعتبر أحد المنطلقات الضرورية والملجئة لعملية التحاور، إذ من خلال الحوار يتم تبادل الأدوار المعرفية، وتبادل المعلومات بين كافة الأطراف المتحاورة على حسب اختلاف زاوية الرؤية، فيحدث التكامل المعرفي، وذلك أسمى غايات الحوار، أو تصحيح المواقف وتراجع أحد الأطراف عن موقفه مع استبيان الصورة من وجهة النظر الأخرى.

إن وحدة الحقيقة لا يعني بحال التوقف عن تعدد التفسيرات والرؤى واختلاف الطرق المؤدية إليها، والحوار ـ لا شك ـ هو الطريق الأمثل للتواصل إلى الأصوب والأولى بالاتباع.

المبحث الثالث

أبعاد الحوار (المستويات والآفاق)

مقدمة:

بالنظر إلى الحوار باعتباره نوعاً من أكثر أنواع الخطاب الإنساني تداولاً وممارسة بين البشر، نجد أنّه تتعدد أنواعه، وتتنوع أبعاده، اتساعاً وعمقاً؛ لتشمل كل المجالات والقضايا التي يُعانيها كافّة البشر ويعايشونها؛ فما من موضوع حياتي لا يدخله الحوار أو لا يصلح أن يكون أداته وسبيله، وهذه نظرة جانبية فقط لأبعاد الحوار من ناحية مجالاته وآفاقه. أما الزاوية الأخرى التي يمكن من خلالها النظر لأبعاد الحوار، فهي النظر لأشخاص الحوار وطبيعتهم، وهذه أيضاً تتنوع فيها مستويات الخطاب على حسب مدى القُرب والبُعد، والاتفاق والاختلاف بين المتحاورين، كما تتنوَّع على حسب عدد المتحاورين وثقافتهم.

وبالتالي، فإن هذا المبحث يهدف إلى معالجة أبعاد الحوار، من خلال النظر إلى مستوياته من ناحية، وإلى مجالاته وآفاقه من الناحية الأخرى.

١. مستويات الحوار:

تتنوع مستويات الحوار وتختلف حسب اختلاف النظرة إليها؛ فعلى حسب النظرة الأوليَّة، يمكن اعتبار أن ابتداء مستويات الحوار من داخل نفس الإنسان وذاتيته أو بمعنى آخر حوار الشخص مع نفسه وبنفسه، ثم انتقالا إلى المستوى الأُسَريّ باعتبار أنَّ الأسرة هي المكون الثاني للمجتمع بعد الفرد، بعد ذلك الانتقال إلى المستوى الوطني حيث يشمل الفُرقاء داخل الوطن الواحد، ثم حواراً إقليمياً وأخيراً وفي أعلى المستويات الحوار العالمي، باعتباره أحد جدّيات هذا العصر، الذي سهّل إمكانية إدارة مثل هذا الحوار.

وبعيداً عن الموضوعات التي يشملها كل مستوى من هذه المستويات، إذ من الطبيعي اختلافها الكلي والجزئي على حسب كل مستوى بحيث يصعب حصرها، فإنَّ هذه المستويات لا يربطها سوى الترتيب الرأسي للمكون البشري في العالم.

أما النظرة الأخرى لمستويات الحوار وهي النظرة الكمية البحتة، حيث المستوى الفردي الذي لا يتعدى فيه الحوار خارج إطار الفرد، ثم المستوى

الثنائي، وهو الحوار بين طرفين أيا كان صفتهم وطبيعتهم، ومدى اتفاقهم واختلافهم، وأخيراً المستوى الجماعي، حيث تتعدد أطراف الحوار وإن كان يربطهم موضوع واحد أو أكثر ـ على حسب اتفاقهم ـ يدور حوله الحوار.

وأخيراً فهناك زاوية أخرى كليّة اعتمدها كثير من الباحثين كمستويات أدق للحوار، وهي القسمة الثنائية حيث حواراً ذاتياً ... أو حواراً مع الآخر؛ وهذا التقسيم هو ما نميل إلى الاعتماد إليه في هذه الدراسة.

أ ـ الحوار مع الذات (الداخلي):

المقصود بالحوار مع الذات: العمل على مُراجعة الإنسان لنفسه وأفكاره، والوقوف معها وقفة تأمل وتصحيح، لتحديد مواطن الخلل وإصلاحها، وتحديد مواطن الصحة لتعزيزها ودعمها(١)، كما يدخل ضمن الحوار مع الذات، الحوار الداخلي بين الشركاء المبني إمّا على أساس اتحاد الدين والهُوية، أو شركاء الوطن الواحد والذي يكون المتفق عليه بينهم أكثر من المختلف عليه.

وبالتالي فهناك نوعين من الحوار الداخلي: حوار داخل الذات الصغرى وهي ذات الإنسان ونفسه، وحوار بين الذات الكبرى وهو حوار بين "طرفين ينتميان إلى نفس الذات، وإلى الهوية نفسها، والتعارف بينهما مُتوقعٌ، بل هو أصل العلاقة بينهما"(٢).

الحوار داخل النفس:

يُعد الحوار داخل النفس "أحد نوعيّ الحوار العلمي الذي يُذكي في نفس المحاور العمل على مراجعة الأفكار، وتصحيح المواقف، من خلال الاعتماد على خلجات النفوس وأحاسيسها الداخلية، مما يؤدي بالنتيجة إلى رقابة الإنسان على نفسه وأفكاره"(٣).

"وفي المصطلح الديني يتخذ الحوار في الإسلام معنى الإيمان بحركته في انتماء الذات؛ فلا إيمان في عمق الفكر وامتداده، بدون حوار، حتى كان الإسلام كله حركة حوار، يبدأ في حديث الإنسان مع ذاته في حركة التفكّر الداخلي حيث يدور الجدل بين احتمال واحتمال، وفكرة وفكرة، وظاهرة ودلالة في نطاق من

(١) د. عبد الستار الهيتي، الحوار ... الذات والآخر، مرجع سابق، ص٩٩.
(٢) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، ص٩٥.
(٣) د. عبد الستار الهيتي، مرجع سابق، ص٩٩.

السلب هنا، والإيجاب هناك، وذلك هو دوره في صنع العقيدة التي تحدد هوية وشخصية الإنسان المنتمي.

وفي إطار آخر، يتحرك الحوار في الداخل في عملية الالتزام والاستقامة في العاطفة والخط الواقع عندما يدور التجاذب بين منطق العقل ومنطق العاطفة ... حتى في مسألة الالتزام هناك حوار بين منطق في الداخل يجتذب منطقا آخر، حوار يصنع الإنسان الحواريّ، الإنسان ذي الشخصيّة المستقيمة المُلتزمة، لأنَّ من لا يعيش بالحوار في داخله، ليس مؤهلاً لأن يكون إنسان الحوار مع الآخر"[1].

فالحوار الذاتي هنا حوار فكريٌ تأملي داخل النفس الإنسانيَّة يهدف إلى إصلاحها واستقامتها، يبدأ من معاينة النفس ومحاسبتها كما قال تعالى: ﴿ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾ [القيامة: ٢]، وهي النفس الوقّافةُ التي تحاسب صاحبها وتلومه، وتنبهه من اجتراء منكر أو غفلة عن معروف، وهذا هو الحوار الإيجابي الهادف، وهناك حوار داخلي سلبي هادم، وهو حين تتغلب هذه النفس على صاحبها وتحرِّضه على السوء، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣].

الحوار داخل المجتمع المسلم:

فالمجتمع المسلم اليوم ليس لحمة واحدة كما ينبغي أن يكون ﴿وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾، وإنما تتعدد فيه المشارب، وتتنابذ الأفكار، وتكثر فيه الخلافات على شتى الأصعدة، فمن الناحية السياسية، تختلف الأوطان وربما تتصارع فيه على حسب المصالح. ومن الناحية الدينية، تتنوع المذاهب من سنة وشيعة..الخ، إضافة بالطبع إلى تعدد الديانات داخل الأوطان الإسلامية، ومن الناحية الفكرية، تتعدد فيه المذاهب الفكرية من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.

وإذا كان هذا حال المجتمع الإسلامي من ناحية الاختلافات، إلا أنَّ المشترك فيه يبقى هو الغالب؛ فالدين واللغة والهوية والثقافة تمثل أقوى مشترك يمكن أن ينبني عليه حوار جاد وباني.

(١) محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص٨-٩.

الحوار بين الأوطان الإسلامية:

في عالم تسعى فيه الدول اليوم إلى بناء التحالفات الإقليمية والعسكرية والأيديولوجية، حيث لا مكان فيه لدولة مُستضعفة، فإنَّه حري بالأمة الإسلامية أن تجمع شتاتها، وتسعى نحو الوحدة والتي تتعدَّد أشكالها، ومن الممكن اختيار ما يناسب منها.

هذه الوحدة الجامعة لا يقيمها بعد صدق الإخلاص والتوجه إلَّا حوار جاد تشترك فيه الحكومات، وتتشارك فيه الشعوب، على كافة المستويات: السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

وسواء كان مُراد هذا الحوار الوصول إلى وحدة تامة بين البلدان الإسلامية، أم وحدة مرحليّة ناقصة، فإنّ هذا أمر معروض على الحوار، وموكُولٌ إلى رغبات المتحاورين وحاجاتهم.

ولعل الذي يُسهم في عملية الحوار هذه ويسهلها، أنها مركوزة على أسس رصينة، تبدأ من الأخوة الإسلامية الجامعة، كمبدأ إسلامي بين هذه الشعوب الإسلامية، وتنتهي عند المصلحة المشتركة المتحققة لسائر البلدان الإسلامية من جراء هذا التحاور، كمنفعة دنيوية.

فالجهد الحواري إذا ما وضع تحت المظلة الإسلامية، فإنه يرجى منه أعظم الأثر في نهوض الأمة الإسلامية، وإقامة الوحدة بين أوطانها، أو على الأقل مزيدا من التقارب ـ على كافة الأصعدة ـ بينها.

الحوار بين المذاهب الإسلامية (المشترك الديني والمختلف المذهبي):

لا شك أنَّ الحوار بين المذاهب الإسلامية اليوم يُعد من الأمور الضرورية، وذلك بسبب الضَّعف الحاصل من تلك الخلافات والتشرذمات الكائنة في نسيج الأمة الإسلامية، غير أنَّ إقامة مثل هذا الحوار لا يعني التحوّل التام عن المذهب، وإقامة مذهب واحد؛ فالأصل في الخلاف المذهبي هو الجواز والإباحة، ما كان خلافا قائماً على التنوع والتشارك، لا على التضاد والتنابذ وإنما "هدف مثل هذا الحوار: التقريب بين المذاهب، والتعاون في حل مشاكل المسلمين المعاصرين، وتكييف المجتمعات الإسلامية مع العصر الحديث، وتمكين

المسلمين والعمل على تنمية مجتمعاتهم، ومواجهة مشاكل أقليتهم في المجتمعات غير المسلمة"[١].

فالحوار بين المذاهب الإسلامية، المبني على اعتراف كل مذهب بالمذهب الآخر وأحقيته بالاختلاف، والقائم على التعاضد والتساند في الأمور المتفق عليها بين المذاهب، والمنطلق من قاعدة الأخوة الإسلامية، إنّما هو أحد أهم السبل في تحقيق الوحدة الإسلامية، وإعادة مكانتها بين الأمم.

إن "الآخر" الإسلامي، هو أخ في الدين قبل كل شيء، وهو جزء ينبغي الحفاظ عليه ومد جسور الوصل معه أينما ذهب بفكره، وحيثما حلَّ بكيانه، ذلك التزام تفرضه العقيدة أولا، وتقتضيه المصلحة ثانيا.

فحقوق المسلم على المسلم، من المُوالاة إلى المُؤاخاة، لا حصر لها في تعاليم الإسلام، وإنكار هذه الحقوق، أو حتّى مجرد إهمالها وعدم الالتفات إليها، سلوك يجرح صدق إيمان المسلم.

ثم إنّ العصبية المذهبية، التي تُؤدي إلى قطع خطوط الاتصال والحوار مع أتباع المذاهب الأخرى، فضلا عن أنّها تُخرِّب وحدة الصف الإسلامي، وهو أمر بالغ الأهميَّة بحد ذاته، فإنَّها ترتب نتيجتين خطيرتين على المستوى العقدي: أولاهما، إهدار فرصة تصحيح المعتقدات المنحرفة التي تشيع بين بعض المذاهب الإسلامية، خصوصا عند الأجيال الجديدة التي ورثت تلك المعتقدات، دون أن تعرف الخطأ والصواب فيها. ومن ثَم فقد التزمت بها وتعاملت معها باعتبارها إسلاما صحيحا لا شك فيه ولا مراء.

والنتيجة الثانية، هي عزل بعض الأقليَّات الإسلاميَّة التي تعيش في العديد من الدول الأفريقية والأسيوية، فضلا عن أوربا والولايات المتحدة الأمريكية، مما يؤدي بمضي الوقت إلى تذويب تلك الجموع في الواقع الذي يحيط بها، جيلا بعد جيل، وبالتالي، اندثار الإسلام في تلك البلاد[٢].

(١) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، ص٩٧.
(٢) انظر: أستاذ فهمي هويدي، الإسلام والديمقراطية، الطبعة الأولى، القاهرة، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ١٩٩٣م، ص٥٥-٥٦.

وفي كتابه: " دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين"، يضع الشيخ محمد الغزالي العناصر الأساسية الجامعة، والتي يمكن الابتناء عليها للحوار بين الفرق والمذاهب الإسلامية، لا سيَّما بين السنة والشيعة، والتي تتمثل:

أ ـ يتَّفق الفقهاء المعنيون من الفريقين في مؤتمر جامع على أنَّ القرآن الكريم هو كتاب الإسلام المصون الخالد، والمصدر الأول للتشريع، وأنَّ الله حفظه من الزيادة والنقص وكل أنواع التحريف. وأنّ ما يُتلى الأن هو ما كان يتلوه النبي على أصحابه، وأنّه ليس في تاريخ الإسلام كله غير هذا المصحف.

ب ـ السُنّة هي المصدر الثاني بعد القرآن الكريم، والرسول أسوة حسنة لأتباعه إلى قيام الساعة، والاختلاف في ثبوت سنة ما أو عدم ثبوتها مسألة فرعية.

ج ـ ما وقع من خلاف في القرن الأول، يُدرس في إطار البحث العلمي، والعبرة التاريخية، ولا يُسمح بامتداده إلى حاضر المسلمين ومستقبلهم. بل يُجمّد من الناحية العملية تجميدا تاما، ويترك حسابه إلى الله، وفق الآية الكريمة: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾ ﴾ [البقرة:١٣٤].

د ـ يواجه المسلمون جميعا مستقبلهم على أساس من دعم الأصول المشتركة، الكثيرة جدا، وعلى مرونةٍ وتسامُحٍ في شتى الفروع الفقهية، ووجهات النظر المذهبية الأخرى[١].

الحوار مع غير المسلم داخل المجتمع الإسلامي (المختلف الديني والمشترك الوطني):

فالواقع هو تنوع النسيج الوطني داخل المجتمع المسلم من ديانات مختلفة، لا يمكن بحال إغفالها أو تجاوزها، بل يجب الاستفادة من هذا التنوع في بناء المجتمع من ناحية، وعدم الانجرار إلى استعداء هذه الفئات والذي قد يؤدي هذا الاستعداء إلى تفكك المجتمع ونشر الصراعات داخله من ناحية ثانية.

(١)الشيخ محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، القاهرة، دار الشروق، ص١٠٩.

إنّ اعتراف الإسلام نظريًا وعمليًا بالآخر المختلف دينا، قد وصل إلى أقصى مدى يمكن الطموح إليه، ففي ميثاق المدينة قد وضع النبي صلى الله عليه وسلم اليهود ـ شركاء الوطن آنذاك ـ في منزلة الندِيَّة مع المسلمين، باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من المجتمع المدنِيّ، فهم أُمَّة مع المؤمنين:" وَإِنّ الْيَهُودَ يُنْفِقُونَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ مَا دَامُوا مُحَارَبِينَ. وَإِنّ يَهُودَ بَنِي عَوْفٍ أُمّةٌ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ، لِلْيَهُودِ دِينُهُمْ وَلِلْمُسْلِمِيْنِ دِينُهُمْ مَوَالِيهِمْ وَأَنْفُسُهُمْ، إلّا مَنْ ظَلَمَ وَأَثِمَ، فَإِنّهُ لَا يُوتِغُ إلّا نَفْسَهُ وَأَهْلَ بَيْتِهِ.... وَإِنّ بَيْنَهُمْ النّصْرَ عَلَى مَنْ دَهَمَ يَثْرِبَ، وَإِذَا دُعُوا إلَى صُلْحٍ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ، فَإِنّهُمْ يُصَالِحُونَهُ وَيَلْبَسُونَهُ. وَإِنّهُمْ إذَا دُعُوا إلَى مِثْلِ ذَلِكَ فَإِنّهُ لَهُمْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إلّا مَنْ حَارَبَ فِي الدّينِ.... وَإِنّ يَهُودَ الْأَوْسِ، مَوَالِيَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ عَلَى مِثْلِ مَا لِأَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ. مَعَ الْبِرّ الْمَحْضِ، مِنْ أَهْلِ هَذِهِ الصّحِيفَةِ. "[1].

وإذا كان الإسلام قد اهتم بغير المسلم من جهة حفظ حقوقه كاملة، شأنه في ذلك شأن المسلم، فهو مواطن كامل المواطنة، يتمتع بكافّة الحقوق التي يتمتع بها المسلم تحت قاعدة "لهم ما لنا وعليه ما علينا"، كما اعترف بشرعيتهم وحقهم الكامل في الاختلاف؛ فإنَّ ذلك ليس مرتبطا بجانب الاعتقاد، وإنما بجانب البشرية التي كفل الإسلام صون كرامتها وحريتها المطلقة في الاختيار.

وفي واقعنا المعاصر" فإنَّ هذه العلاقة تحتاج إلى تجديد ودعم، بخاصة في ظل الظروف المعاصرة التي تشهد تصاعد التطرف الديني، وزيادة حدَّة التعصب، وعدم التسامُح بين أبناء المجتمع الواحد المختلفين دينياً، ولهذه الأسباب فالحوار الإسلامي مع غير المسلم داخل المجتمع المسلم، مطلوب في المرحلة التي نعيشها كوسيلة من وسائل التعريف بين أبناء المجتمع الواحد، وتحقيق التفاهم والفهم، وضمان عدم وقوع الاضطهاد الناتج عن تعصب ديني أو ثقافي أو اثني.

وهذا يحقق تطبيق المبادئ الإسلامية في التعامل مع غير المسلمين، ويضمن في الوقت نفسه حسن تعامل البلاد غير الإسلامية مع أقلياتها المسلمة التي كثُرت في العالم المعاصر"[2].

(١) ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة، ١٠٧/٢.

(٢) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، ص١١١-١١٢.

ولن نستطيع ـ كما يقول المفكر الإسلامي فهمي هويدي ـ أن نبلغ هذه الغاية، قبل إيضاح مجموعة من النقاط، التي تُشكِّل بعض عقبات في طريق إقامة هذه العلاقة الصحيحة، في مقدمتها:

أولا: الاتفاق على حدود أطراف العلاقة وطبيعة الميزان الذي يحكمها، وكيفيّة ضبط هذا الميزان بالصورة التي تُحقّق مصلحة المجتمع في مجموعه. وإذا كان الفرض المطروح أمامنا هو كونها علاقة بين أغلبيَّة مسلمة وأقليّة غير مسلمة، فما هو الإطار الذي تُصاغ به علاقة كل منهما بالآخر؟

ثانيا: إسقاط الشُّبهات التي تشوب التصور العام لموقف المسلمين من غير المسلمين، سواء جاءت تلك الشبهات عن طريق الدَّس والاختلاق، أو عن طريق القراءة غير الصحيحة للنصوص والوقائع التاريخية.

ثالثا: إعادة النظر في بعض الاجتهادات الفقهية التي تعالج هذا الموضوع، وإسقاط مالم يعُد ملائما منها لظروفنا المعاصرة، أو ذلك الذي صدر في ظروف وملابسات خاصة في الماضي. ثم ـ من ناحية أخرى ـ تطوير ما يمكن العمل به من تلك الاجتهادات في ضوء القراءة المتفهمة للحاضر والمستقبل(١).

وهذا النقاط تعتبر بمثابة تهيئة المناخ المناسب، لبيئة حوارية مع الأقليات غير المسلمة في المجتمع الإسلامي.

ب ـ الحوار مع الآخر (الخارجي):

المقصود بالحوار مع الآخر هنا، الحوار مع المختلف ديناً ووطناً وثقافة وهوية، فهو حوار مع غير المسلم خارج المجتمع الإسلامي، وسواء كان هذا المسلم القائم بعمليّة التَّحاور يعيش كأقلية داخل المجتمع غير الإسلامي، أم يعيش في مجتمع إسلامي منفصل.

ولا شك أنَّ هذا النوع من الحوار تتعدد مواضيعه على حسب تعدد أغراضه، فقد يكون حواراً دينياً دعوياً، كما قد يكون حواراً سياسياً أو اقتصادياً، كما يغلب أن يكون حواراً حضارياً وثقافياً، إلا أنَّ المقصد العام لهذا الحوار يبقى هو

(١) الأستاذ فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٥م، ص٧٣.

"المساهمة في صياغة حضارة إنسانية تسود فيها قيم الخير والحق والفضيلة، وتهدف إلى نشر المعارف والثقافات بين الشعوب، وتنمية العلاقات السلمية بينها، وتمكين كل إنسان من اكتساب المعرفة والمشاركة في التقدُّم العلمي الذي يشهده العالم اليوم، ليفتح الحوار مجالاً واسعاً أمام تفاهم المجتمعات ويؤدي إلى تقارب الثقافات، ويساهم في تلاقح الأفكار وهو مما يمكن أن نصطلح عليه اليوم بالتفاعل الحضاري، الذي يجب أن يدعم التَّعاون بين جميع شعوب العالم على مواجهة تحديات العصر، ووضع الحلول المناسبة لها"(١).

فالحوار الخارجي مع الآخر إنما يهدف بالأساس إلى أمرين: أولهما تحقيق التعايش مع أهل الأديان والثقافات المختلفة، هذا التعايش الذي يعني الاعتراف والتقبُّل وإمكان التعامل والتَّعاون بين المختلفين، مع توافر الاحترام الكامل بين الأطراف المختلفة، والأمر الثاني: هو البحث عن نقاط الاتفاق وتقويتها ودعمها، وبناء المشترك الإنساني، لاسيما في مجال القِيَم والحقوق، والعمل على إفادة البشرية جمعاء.

٢. مجالات الحوار وآفاقه:

تتسع مجالات الحوار "وتتعدد موضوعاته بتنوع مقاصده وأغراضه، ليواكب الحاجات الفطرية الإنسانية، فكان منه ما يُعني بالمناهج الفكريَّة، ومنه ما يُعنى بالجوانب التربوية التعليمية، ومنه ما يُعنى بالجوانب الثقافيَّة المعرفيَّة، ومنه ما يُعنى بتحديد العلاقة بين الأمم والشعوب"(٢). "وقد اتسع مجال الحوار ليُغطي مُعظم الأنشطة والمجالات الإسلاميَّة، فهو وسيلة المسلمين في فهم دينهم، وفي الدعوة إليه، وفي تكوين تُراثهم الفكري ومنجزاتهم العلمية"(٣).

فمجالات الحوار تتنوع بداية من أمور الإنسان الشخصية، وحتى الأمور الدينية والسياسية والثقافية والحضارية، وإذا كان من الصعب حصر مجالات الحوار، ومع استثناء الأمور الطبيعية والفطرية التي يدخلها الحوار؛ فإننا نكتفي هنا بالإشارة حول أهم المجالات التي يدخلها الحوار الإنساني العام.

(١) د. عبد الستار الهيتي، الحوار الذات والآخر، ص١٤٧.
(٢) المرجع السابق، ص٣٢.
(٣) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، مرجع سابق، ص١٥.

أ. المجال الديني:

من أبرز الموضوعات التي يتناولها الحوار وأقدمها هو الموضوع الديني، سواء كان ذلك الحوار على مستوى الأديان المختلفة أم كان داخل الدين الواحد، في حالة الاختلاف البادي بين فرقة في الأمور المتعلقة بالدين أو تفسيره.

وإذا كنَّا نتناول هنا الموضوع الديني باعتباره مجالاً واحداً من مجالات الحوار، إلا أنَّه تتنوع وتتعدد أغراضه ما بين الدعوى الإقناعي، وحتى التعايش والتقبُّل.

"وقد اختلفت الأديان في موقفها من الحوار بين قبوله والعمل به، وبين رفضه وعدم الاهتمام بالعمل به، ويعود هذا الاختلاف إلى طبيعة الأديان من حيث عالميتها أو خصوصيتها، فالديانات التي تتصف بالعالمية عادة تكون منفتحة على (الآخر) وراغبة في ضمه إليها، ويكون الحوار هو إحدى وسائل الاتصال بـ (الآخر) ودعوته إلى الدين، أمَّا الديانات التي تتصف بالخصوصية فهي ديانات قوميَّة، وعادة ما تكون مُنغلقة على نفسها، وغير منفتحة على (الآخر)، وليست لديها رغبة في دعوة (الآخر) استناداً إلى هذه القوميَّة والعصبيَّة الدينيَّة، والقبليَّة، والحوار في هذه الحالة لا قيمة له فيما يتعلق بعملية الاتصال بـ (الآخر)، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ الحوار ليس له استخدام آخر في مثل هذه الديانات. فاليهوديّة مثلاً، وهي ديانة قوميّة خاصة، خلت من هدف الدعوة، ولكنّها استخدمت الحوار كوسيلة تعليمية دينية، كما استخدمته في نظام الفتوى القائم على أساس من الأسئلة والأجوبة، وفي مشاورات الحاخامات ودروسهم الدينية"(١).

أما بالنسبة للإسلام فيعتبر الحوار أحد أدواته سواء في جانبه الدعوي المبني على الإقناع والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥]، أم في جانب التعامل العام مع المخالف في الدين من خلال الاحترام والاعتراف والتقبل ﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

(١) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، ص٢٠-٢١.

ب . المجال الثقافي والحضاري:

يعتبر المجال الثقافي والحضاري من أهم مجالات الحوار، خصوصا في هذا العصر مع تداخل الثقافات والحضارات، وتطور وسائل الاتصال، والتقاء الشرق والغرب والشمال والجنوب، مما جعل هذا الحوار ليس ترفاً اختيارياً، وإنما أصبح واقعاً يفرض نفسه، تجنُّباً وتحاشياً للتصارع الحضاري والثقافي، فالحضارات والثقافات مع اختلافها الجوهري القائم؛ وفي حالة عدم فتح باب للحوار للنظر من خلاله للمشترك الإنساني بين الثقافات والحضارات المتخالفة، فإنَّ ذلك يعني التصارع فيما بينها.

"وقد أثبت التاريخ الإنساني قوة هذا المشترك الإنساني من خلال عمليات التقاء الثقافات والحضارات في التاريخ، وتداخُل المراحل الحضارية وتشابكها، وتزاوج الحضارات واندماجها، وعمليات التلاصق الحضاري التي تحدث بشكل متواصل بحيث لا يمكن نسبة المنجز الحضاري الإنساني إلى شعب بعينه، بل هو منجز حضاري إنساني عام، ساهمت فيه كل الشعوب بنصيب، وهذا المنجز الحضاري الإنساني العام يمثل المشترك الإنساني وهو نتيجة من نتائجه في نفس الوقت"(١).

ويدخل ضمن المجال الثقافي كذلك القضايا العلميَّة التي تخدم البشرية في المجالات العلمية والنظرية، والتي تحتاج لتضافر الجهود حولها، وكذلك نشر القيم الإنسانية التي لا يُختلف عليها، كما يدخل في المجال الحضاري، التعاون في تعمير الأرض، وبناء الإنسان المتحضر، وما يدعم ذلك من محاربة الفقر والجهل والمرض ...الخ.

جـ . الحوار السياسي:

يُعتبر المجال السياسي بكل أبعاده مجالاً حيوياً للحوار، حيث يتنوع هذا المجال بين أبناء الوطن الواحد سواء الأحزاب والنقابات والحكومات، أم على مستوى القادة والشعوب، أم كان حواراً إقليمياً بين الأوطان المتقاربة داخل نطاق جغرافي أو تاريخي معين، مثل الحوار بين الدول العربية، سواء في حل الخلافات الدائرة بينهم، أو في التقارب والوحدة على كافة مستوياتها.

(١) المرجع السابق، ص ١٢٢.

أم كان حوارا عالمياً يساهم في حل النزاعات الدولية قبل تفاقمها، والمساهمة في نشر مبادئ العدالة واحترام حقوق الإنسان وغيرها من القضايا.

" والحوار بين الحضارات على مستوى الجوانب السياسية، هو ارتقاء بالفعل السياسي إلى المستوى الفكري والحضاري الرفيع الذي يخدم المتحاورين من خلاله، المصالح الإنسانية المشتركة. ومعالجة الموضوعات ذات الطابع السياسي، أو التي ترتبط بسبب من الأسباب، بالقضايا السياسيَّة، هو عمل حضاري، إن التزم القائمون به، بالأهداف الإنسانيّة النبيلة، وسلكوا إليه السبل السويّة، واتخذوا لمباشرته الأسباب والوسائل الإيجابية"(١).

(١) د. عبد العزيز التويجري، تأملات في قضايا معاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص١٨٥-١٨٦

الفصل الثاني

منظومة الحوار القرآنية وآثارها في الواقع

يُمثِّل القرآن الكريم نسقاً معرفياً وحضارياً ملهماً للأمة الإسلامية على اختلاف طوائفها ومذاهبها، وباعتباره المرجعية الأهم في هذا الشأن تكون الأمة . مفكروها وباحثوها . مدعوة إلى قراءته قراءة فاحصة، تستخرج منه الدلالات والأفكار، والعمل على توظيفها، حتى تمثل سياجاً فكرياً صُلباً تعتمد عليه الأمة كلها في بنائها الفكري الحديث.

كما أنَّه باعتباره نصا خالداً، يناسب جميع الأزمان، فإنَّ هذا الزمن الذي تجددت فيه القضايا وتنابذت فيه الأفكار، هو الأحوج بدراسته في ضوء هذا النَّص وإعماله في الواقع.

وأخيراً، فإنَّه باعتباره نصاً كونياً، لا يخاطب الجانب الإسلامي فحسب، فإنَّ عرض المشكلات العالمية المستحدثة عليه، واستنباط حلول تناسبها، يجعل للأمة الإسلامية ريادة عالمية وسبقا حضارياً، وشهادة على كافة الناس.

وبإسقاط ذلك على منظومة الحوار القرآنية، نجد أنَّ القرآن قد حقق السَّبق، مع الحكمة والتميُّز، وبالتالي يمكن تحقيق الاستفادة القصوى . في حالة استقراء النص القرآني في هذا الشأن . في معالجة الواقع.

ومن ثم يأتي هذا الفصل يتلمس هذه المنظومة الحوارية ويتكشَّفها في ضوء النص القرآني، وذلك من خلال المبحثين التاليين:

المبحث الأول: **التأصيل القرآني لفكرة الحوار**

المبحث الثاني: **ثقافة الحوار في القرآن الكريم**

المبحث الأول

التأصيل القرآني لفكرة الحوار (المكانة والإمكان)

مقدمة:

اهتم القرآن الكريم بعملية الحوار تأصيلاً وتعقيداً وتفعيلاً، وهذا الاهتمام ليس بالضروري أن يكون بشكل مباشر، فالمعروف عن لغة القرآن الكريم أنَّها تحمل من المعاني أكثر من مجرد الألفاظ، ومن ثمَّ فإذا كانت كلمة الحوار لم تذكر في القرآن إلا في ثلاثة مواضع، إلا أن مدلولاتها وتفسيراتها وأيضاً الجانب العملي منها قد جاء على وجه الكثرة؛ مما يمكن القول إنّه بالإمكان استنباط نظرية كاملة لفكرة الحوار من خلال النص القرآني.

وفي البداية، فإنَّ هذا المبحث إنما يهدف إلى إبراز الجانب التأصيلي للحوار، هذا التأصيل ليس مجرد دلالة تنظيرية لأهمية الحوار فحسب؛ إنما بالأساس إضفاء صفة القداسة والمشروعية لفكرة الحوار من جانب، وهذا أمر له وجاهته في هذا العصر الذي ينأى بعض المتشددين فيه عن الحوار مع الآخر ويعتبره نوعاً من التهاون في الدين، ومن جانب آخر إبراز صفة الإمكان والواقعية من خلال عرض نماذج قرآنية للتحاور مع شتى الفرقاء.

١. مكانة الحوار في القرآن الكريم:

من خلال فهم النص القرآني، فإنَّ الحوار يعتبر أحد أهم السبل في تلاقي البشرية على كلمة سواء، مع اعتبارات كافة الاختلافات الماديَّة والمعنويَّة بينهم.

"فالحوار يتطلب وجود تباينات واختلافات في الفكر وفي الاجتهاد وفي الرؤى، وأنّ ذلك هو انعكاس طبيعي للتنوع الإنساني، الذي يعتبر في حد ذاته آية من آيات القدرة الإلهيَّة على الخلق ومظهراً من مظاهر عظمته"[(١)].

فعلى مستوى البشرية كافَّة يُرشد القرآن الكريم أنَّ هذا الاختلاف إنَّما مقصوده هو إقامة التعارف المبني على تقوية المشترك الإنساني، وتجاهل المختلف، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ

(١) محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٨، ص٧٩.

شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وهذا التعارف إنما مأتاه عن طريق التحاور.

فهذا الجانب الخلافي بين البشرية كلها، يحتاج إلى حوار فاعل بينهم على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢]، لإحالة هذا الخلاف إلى توافق، وهذا التناكر إلى تعارف بينهم.

ثم على مستوى الشرائع والملل، مع اختلافها وتعددها ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۖ فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [المائدة: ٤٨].

فإن هناك حواراً من نوع ما بين أصحاب هذه الشرائع حيث يكون المُراد هو إقامة الدين وعدم التفرُّق فيه ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾[الشورى:١٣].

"فهذه وصية الله إلى الأمم على ألسنة جميع الرسل، فهي لا تدل على اتحاد شرائعهم، بل حظر الاختلاف في الدين، لأنَّ الدينَ نزل لإزالة الخلاف الضار وإصلاح الأمة"(١).

فالحوار له مكانته السامقة، وبنيانه الرفيع في القرآن الكريم، ويمكن رصد هذه المكانة إجمالا في ضوء المعالم الآتية:

أ . تعظيم قيمة الحوار في القرآن:

فالقرآن الكريم قد عظَّم من قيمة الحوار، ومن ثم فقد تعددت فيه الصِيَغ الدلالية والمعبرة بالفعل عن قيام التحاور، من ذلك صيغ القول بمشتقاتها، والجدال، والحجاج، والفكر، والتبيين، والحكمة، والموعظة الحسنة، وتفصيل الآيات، وغيرها من الصيغ التي تعبر عن معنى التحاور، والتي يمكن من خلالها اعتبار القرآن الكريم نصاً حوارياً.

(١) الشيخ محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ٣٤٣/٦.

وبمثل تفاعل هذه المواد اللغوية ـ مما يرتبط بالعلاقة التواصلية في الخطاب القرآني ـ يتكون حقل مفاهيمي واسع يطبع تلك العلاقة بطابع مميز، كما يُشكل في الوقت نفسه مكونا من مكونات رؤية العالم الجديدة، التي يعمل الخطاب القرآني على إرسائها.

والتي يمكن تلخيصها في:

- أنه لا يوجد ضمن الرؤية القرآنية للعالم ـ القائمة على قاعدة الاستخلاف ـ صراع حضارات؛ إنما هناك نمو وتدافع ضمن الحضارة الإنسانية المتواصلة والموحدة بين الدوافع الكونية المدنية التي تراهن على إنسانيَّة الإنسان، وبين دوافع الهمجيَّة والظلم بمركزيتها على الذات.
- انطلاقا من مبدأ التكافؤ الإنساني بين الذات والآخر المختلف، فإن خطاب القرآن الكريم يدعوا إلى بناء تكتل حضاري تعارفي ﴿ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ ليس لمواجهة ثقافات أو عقائد أخرى، بل للتواشج مع ما يزخر به الآخر من طاقات السعي إلى الحق والمعرفة والإبداع.
- غاية الاختلاف ومآل التعارف قرآنيًّا هو الاعتراف بخصوصية الآخر وكرامته وإنسانيَّته باعتبار أن مقاربته ـ المختلفة عن مقاربتنا للحقيقة ـ مشروعة، ومن شأنها أن تكون مُثرية لنا، وزاخرة بغنى التوازن الثقافي الكوني الذي لا مندوحة عنه من أجل رُقي الحياة البشرية[1].

ب ـ محورية الحوار في الدعوة إلى الإسلام:

فالحوار الدعويّ ليس فقط هو الوسيلة المثلى لنشر الإسلام، وإنّما هو السبيل الأوحد، وهذا السبيل لا يتعدى ثلاثة أنماط مهما اختلف المدعو إقبالاً ونفوراً كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [النحل: ١٢٥].

"فقد حدد القرآن الكريم أسلوب الحوار في الدعوة بالحكمة التي تفيد التعقُّل، والاعتدال، وإحكام الأمور بحيث يكون الحوار موضوعياً، ومفتوحاً، وهادفاً إلى تحقيق غاية شريفة يلتقي عليها المتحاورون، ويُؤكد القرآن الكريم الموعظة الحسنة التي تحث على عمل الخير، وتُعبّر عن أسلوب مقبول لا يلقى معارضة من أطراف الحوار، وهي موعظة حسنة تضبطها الموضوعية وتتجنب الإثارة

(١)احميدة النيفر، منزلة التعارف والاعتراف في منظومة القيم القرآنية، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلة التفاهم، ع (٣٦)، ربيع ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ، ص ٣١-٣٢.

والصدام مع الآخر، وبعيدة عن التعصب والتعالي والتحقير، إنّ الحكمة والموعظة تتطلبان الحوار الهادئ المتزن الخالي من الضغط والإكراه، والمعتمد فقط على الإقناع الفعلي والمنطقي والرضا والتسليم بالحجة والبرهان"[(١)].

ثم يأتي الجدال المُقيّد بالأحسن، إذ هو جدال من غير تعصُّب ولا تجريح، ولا دفع بحجج باطلة مع التمسُّك بها، وإنّما جدال بالأحسن في الأسلوب وفي التحاور والتقبُّل، وهذا الجدال يكون مع حالة المعارضين غير المسيئين للدين كما في حالة دعوة أهل الكتاب: ﴿* وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ومثاله قوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ ﴾ [آل عمران: ٦٤] فإن هم ظلموا واعتدوا فليس من سبيل غير الإعراض عنهم من غير إساءة أو رد لإساءة: ﴿ وَإِذَا رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعۡرِضۡ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦ﴾ [الأنعام: ٦٨].

جـ . الإشادة والمدح للاستجابة للحوار:

في آيات كثيرة يشيد القرآن الكريم بمن يستجيب للحق ويذعن له، غير مجادل ولا مماري، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجۡتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعۡبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰۚ فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٨ ﴾ [الزمر: ١٧-١٨].

فقد طرح في هذه الآية ثلاثة عناصر هي: "القول" و "استماع القول" و "اتباع أحسن القول" وبذلك تتشكل ثلاث مراحل: المرحلة الأولى: تبلور أجواء تبادل الآراء والأقوال، وبتبلور فضاء تبادل الآراء والأقوال . والذي يعد الحوار وضعاً أكثر انسجاماً له . تظهر الرؤى المختلفة والمتفاوتة، والمرحلة الثانية: استماع القول والتعرف على ما استبطن من نكات ومقالات أحسن، والمرحلة الثالثة: اتباع الأحسن.

فالكثير يتحاور لكي يثبت ما يعتقد به ويتبعه، ومن جهة نظر القرآن تقع مكانة الاتباع في مرحلة لاحقة للاستماع، ولو لم يقع الاتباع لا يكون معنى للبشارة، فإن إنضاج الحقائق والواقعيات رمز تبلورت البشرى الإلهية بلحاظه[(٢)].

---

(١) د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، مرجع سابق، ص٦٧.

(٢) انظر: أحمد المبلغي، "حديث القرآن عن حوار الفكر وفكرة الحوار"، السودان، مجلة أمة الإسلام العلمية، ع (١١)، ٢٠١٢م، ص٢٨٣.

٢. إمكانية الحوار وواقعيته:

من أهم خصائص المنهج القرآني أنّه منهجٌ واقعيٌّ، لا يكتفي فقط بالنظريات المجردة، ولا يتوقف عند المثاليات المبهجة، وإنما يجنح إلى جانب التطبيق توازيا مع جانب التنظير، ويعرض النماذج الواقعيّة كهدْيٍ يمكن الاقتداء به وتحتذي البشرية في إعماله وتفعيله في واقعها المعيشي.

وبالنسبة للحوار، فقد انتهج القرآن ذات المنهج الواقعي، وعرض لكثير من النماذج الحوارية عرضاً تفصيلياً، مُعرضاً لآراء المتحاورين وأفكارهم مع منتهى الإنصاف، ومهما كان شذوذ هذه الآراء وتعارضها مع الحقيقة.

ولعل أول ما يقابلنا في صدر المصحف وفي ثاني سوره ترتيباً، نجد سرداً لحوار الله عز وجل مع الملائكة يدور حول خلق آدم عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِي بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢].

فهذا نموذج واحد للحوار، إنما يدل ليس فقط على أهميته وإنما أيضاً على إمكانيته وواقعيته، وأنه لا ينبغي تجاوز الحوار لأي سبب من الأسباب، وإلا كان الأولى بهذا التجاوز هو الله عز وجل.

ثم تتوالى النماذج الحوارية وتتنوع منها ما بين الله عز وجل وأنبيائه، وما بين الرسل وأقوامهم مؤمنيهم ومعارضيهم، ثم حوارات أخرى بين فرقاء متعددين يذكرها القرآن ويُفصّلها.

المبحث الثاني

ثقافة الحوار في القرآن الكريم

مقدمة:

لا شك أنَّ تفعيل الحوار لا يتأتى فقط من خلال عرض مكانته وإمكانيته، وإنما يحتاج إلى وضع الضوابط المنهجية له من ناحية، وتبيينٍ لآدابه من ناحية ثانية، والوقوف على حدوده من ناحية ثالثة، وأخيراً ترسيخ القيم الضابطة له من ناحية رابعة. ومن هنا يأتي هذا المبحث ليبرز ثقافة الحوار من المنظور القرآني وهذا هو الجانب العملي في عملية الحوار.

ومن ثم فإن هذا المبحث يهدف إلى التعرف على منهجية الحوار التي أسس لها القرآن العظيم، مع الوقوف على الآداب أو الضوابط الأخلاقية والسلوكية التي يلتزم بها أطراف الحوار، ثم التعرف على المساحة أو الدائرة التي أتاحها القرآن الكريم وأجاز فيها التحاور، وأخيراً القيم الكبرى الضابطة لعملية الحوار.

١. منهج الحوار في القرآن الكريم:

يمكن من خلال دراسة النص القرآني، باعتباره نصاً حوارياً، استنباط منهج متكامل لإجراء الحوار، سواء ما يتعلق فيه بأسلوب الحوار، أو أهدافه، أو لغته، أو بيئة الحوار، وباختصار شديد يمكن الإشارة هنا فقط إلى رؤوس العناصر التي تمثل المنهجية القرآنية في عملية الحوار.

أ . ضرورة الاعتراف بالآخر:

فالحوار لا يتحقق ما دام أن أحد الطرفين لا يعترف بحق الآخر، هذا الاعتراف يتضمن اعترافاً بحقوقه كاملة، واعترافاً بأحقيته بالاختلاف، وقبل ذلك اعترافاً وجودياً؛ إذ لا شك أن أكبر عقبة في طريق الحوار إنما هي نكران الآخر حقوقاً ووجوداً.

وإذا كان حق الاعتراف بالآخر أمراً مهما لبدء الحوار، فإنّه يبقى ملازماً لكل مراحله حتى وإن فشل الحوار، ووصلا الطرفان إلى طريق مغلق. وفي

القرآن الكريم ما يُعظّم من حق الآخر مهما كان الاختلاف معه، يدل على ذلك قوله تعالى في سورة الكافرون: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾. فالاعتراف لا يعني ضرورةً الإذعان والتصديق. والقرآن وإن كان لا يؤمن بأن ما يدين به أهل قريش هو حق، بل إنه لا يقر أصلاً بأن هناك ديناً حقيقياً غير الإسلام ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩]، لكن هنا وفي حالة التحاور، فإنه يترك لهم حرية تسمية عبادتهم للأصنام ديناً، ويسلم لهم بهذا الحق.

فالنص القرآني يؤسس " قراءة انفتاحية للمغاير والمختلف وللواقع المركب والمتجدد، بما يحوّل الهوية الدينية إلى مجال جذب، بما تكسبه تلك الهوية من معنى للحياة، ومن تناسق وتطوير للواقع. إنه إقرار تثميني لما للمجتمعات البشرية من طابع ضَمِيٍّ شأنها شأن النفس البشرية، تشتركان في كونهما مركبتين بصورة تراكمية، تتعدد فيها المكونات التاريخية وتتداخل.

فالنص القرآني المؤسس في إقراره بمكانة الآخر، في حرصه على إقامة مجالات التواصل والتميز؛ إنما يؤسس لمقولة إنسانية مفادها أنه ليس في الثقافات ولا بينها غزو أو استتباع، فحاجة بعضها إلى بعضها الآخر حيوية على اعتبار أن التجدد لا يمكن أن يكون ذاتيا. ذلك هو مقتضى التواصل أما مقتضى التمييز، فهو ديني إيماني، لا يذهل . عند التفاعل مع المختلف إنسانيا . عن مساراته التاريخية، وما أنشأته من واقع موضوعي لم يخل من انحرافات ودخن ونسبية"(١).

ب . الحرية وعدم الإكراه والتسلط:

فالأصل هو تحقيق المساواة الكاملة بين طرفي التحاور، وعدم تسلط أحدهم على الآخر مهما كان له من مزايا وخصائص، ويتجلى ذلك في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ [الكهف:١١٠]، وقوله تعالى: ﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ۝٢٢﴾ [الغاشية: ٢٢].

"والمتتبع للحوارات التي أجراها النبي ﷺ يجد أنَّه حاول في أكثر من مناسبة توفير المناخ الطبيعي للأطراف الذين أدار عملية الحوار معهم، من خلال تأكيده على جانب البشريّة فيه، فهو بشر مثلهم لا يملك أية قوة غير عادية في تكوينه

(١) احميدة النيفر، منزلة التعارف والاعتراف في منظومة القيم القرآنية، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.

الذاتي، فلا يستطيع تنفيذ المعجزات التي يقترحونها عليه ولا يعلم الغيب، وإنما هو إنسان يتلقى الوحي من ربه باعتباره رسول رب العالمين، ومهمته في ذلك هي تبليغ الرسالة بالوسائل المقنعة والصيغ العلمية إلى الناس، عن طريق الحوار والمناظرة دون أن يشعرهم بتميزه عنهم، أو إملاء أفكار يفرضها عليهم، فلا مكان عندئذ للإرهاب أو الضغط على الحرية الفكرية وهو لا يملك طاقة سحرية تدفعهم إلى الإيمان بما يدعوهم إليه، وإنما لهم الحرية الكاملة في ذلك كله، فإن استجابوا له واقتنعوا بدعوته فذلك هدف الرسالة وغايتها، وإن لم يستجيبوا فحسبه أنه أدى الرسالة وبلغ الأمانة وقام بواجبه تجاه الوحي المنزل إليه، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨ ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ويقول أيضا: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۖ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِوَكِيلٖ ﴾ [يونس: ١٠٨]"[(١)].

جـ . تعظيم المشترك والتعاون عليه وتحديد المختلف والتحاور حوله:

فعملية التحاور في الرؤية القرآنية ليست عملية جدالية تهدف إلى تحقيق الانتصار الحجاجي أو الهيمنة الفكريَّة، وإنما في الأصل هي عملية تعاونية، تهدف إلى تقليل دائرة المختلف حوله قدر الإمكان، والانطلاق من دائرة المتفق عليه مع التعاون على تنفيذه، والأصل في ذلك قوله تعالى:﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ ﴾[المائدة:٢].

ومن ثم فقد عمل القرآن عل استبعاد كل ما يؤدي إلى توسيع دائرة الشِّقاق والخلاف، وكل ما يؤدي إلى الأخذ بالحوار إلى توسيع هذه الدائرة؛ ومن هنا كان النكران على أهل الكتاب بناء محاورتهم مع النبي ﷺ على غير علم وبينه، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ٦٥ هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٥-٦٦] مع في هذا الحجاج من توسعة دائرة الخلاف، والعودة بالحوار إلى نقاط التلاقي وتعظيم المشترك بينهم: ﴿ قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا

(١) د. عبد الستار الهيتي، الحوار... الذات والآخر، مرجع سابق، ص ٥٠-٥١.

نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤]، ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [البقرة: ١٣٦].

د . تحكيم الجو العلمي وتجنب العاطفة:

فالهدف من الحوار هو التوصل إلى الحق، وبالتالي يجب استبعاد كل ما من شأنه أن يقيّد أو يؤثر على تحري سُبل الحق، ولذا فقد اهتم القرآن الكريم بإزالة كل العوائق التي قد تحرم العين النظر، والقلب الفكر، فذم التقليد الأعمى الموروث عن الآباء، كما ذم الهوى النفسي، وطعن على اتباع الأشخاص ـ أياً كانوا ـ من غير تبصُّر. وبالمجمل فقد انتقد أي قول أو فكر لا يقوم على علم وبرهان.

من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾ [البقرة: ١١١]، ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ﴾ [غافر: ٥٦]، ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُواْ بِكِتَٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾﴾ [الصافات: ١٥٦-١٥٧].

"وشدة تأكيد القرآن على علمية وموضوعية الحوار، بلغت إلى حد برز خطاب "هاتوا برهانكم" كشعار للقرآن يمثِّل أهمية الحوار ومكانته فيه، فقد ورد هذا الخطاب في أربعة مواضع في القرآن: [البقرة:١١١، الأنبياء:٢٤، النمل:٤، القصص ٧٥]"(١).

٢. الآداب والضوابط السلوكيَّة للتحاور:

أ . إنصاف الطرف الآخر:

ويُقصد به: المحافظة على حق الطرف الآخر وإنصافه من كل وجه، بغضِّ النظر عن صفة المحاور أو مركزه العلمي والاجتماعي، لأنّ الأمر المهم في الحوار هو إبراز حق الخصم وإنصافه حتى لا تنقلب المحاورة إلى مكابرة(٢).

(١) أحمد المبلغي، حديث القرآن عن حوار الفكر، مرجع سابق، ص٢٨٨.
(٢) د. عبد الستار الهيتي، الحوار الذات والآخر، مرجع سابق، ص٦٠.

فمهما يكن الاختلاف بين المتحاورين إلا أن تحقيق العدل والإنصاف يجب الالتزام به، وهو مأمور به، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [المائدة: ٨]. ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ [الأنعام:١٥٢].

وجاء الجانب التطبيقي في القرآن متقيداً بضرورة الإنصاف، ففي محاولة النبي ﷺ مع مخالفيه . مع اليقين بأحقية النبي ﷺ . يأتي التوجيه القرآني برفع الأمر برمته للفصل فيه إلى الله عز وجل، أي الفريقين على هدى أو في ضلال مبين: ﴿قُل رَّبِّيٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ ﴾ [القصص: ٨٥]، ﴿ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾ [سبأ: ٢٤]،﴿ قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [سبأ:٢٥]، فيجعل اختياره هو بمرتبة الإجرام على الرغم أنه هو الصواب ولا يصف اختيار الخصم بغير مجرد العمل، ليقرر في النهاية أنّ الحكم النهائي لله ﴿ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ ﴾ [سبأ: ٢٦] (١).

ب . الالتزام باتباع الحق:

ولا يكفي مجرد التسليم الجدلي بإمكانية صواب الطرف الآخر، بل لابد من التعهد والالتزام باتباع الحق إن ظهر على يديه ﴿ قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ [الزخرف: ٨١].

فلابد لمن يدخل في عملية الحوار أنْ يُعِدّ نفسه إعداداً تاماً لتقبُّل النتائج التي تؤول إليها الحوار، ويهيئ علقه للاقتناع بها، لأنّ رفض النتائج وعدم تقبُّلها يقلب الحوار إلى جدل عقيم لا يراد منه سوى المزايدات الجدلية التي تعود بالحوار إلى ما يناقض هدفه وغايته، ولقد عاب القرآن الكريم على أولئك الذين يحاورون رسول الله ﷺ دون أدنى استعداد لتقبل نتيجة المحاورة، فقال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا

(١) محمد النجار، معالم الحوارات المفضي إلى الحد من العنف، أعمال مؤتمر الدعوة الإسلامية ومتغيرات العصر، كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، ٢٠٠٥م، ص٢٠٤.

﴿ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنعام: ٢٥].

فهؤلاء يستمعون إلى الدعوة ولكن قلوبهم مغلقة وآذانهم مسدودة عن الإصغاء إليها، فهم معرضون عن الإيمان بها لعدم استعدادهم القبول بنتائج الحوار، إنكاراً وكفرا وعناداً.

إنّ المحاور الذي لا يكون مستعداً لاتباع الحق الذي يؤول إليه الحوار يدخل دائرة المكابرة والجهل، ويبتعد عن الموضوعية العلمية، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿ * وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلْمَوْتَىٰ وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ [الأنعام: ١١١]. فليست القضية قضية آيات تُقترح ليستجاب لها أو لا يستجاب، بل القضية هي فقدان الاستعداد النفسي لاتباع الحق مهما كانت الأدلة والبراهين(١).

جـ . احترام الطرف الآخر وعدم إثارته:

مهما كانت دائرة الخلاف بين المتحاورين، فإنَّه يلزم احترام كل طرف للآخر، هذا الاحترام يعني فيما يعني اختيار اللفظة وعدم التجاوز في الحوار ﴿ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، ﴿ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]، واللين في التعامل وعدم الغلظة ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، مع كظم الغيظ ودفع الشدة باللين والسيئة بالحسنة ﴿ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، ﴿ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت: ٣٤]، وعدم التعالي أو التعظيم من الرأي على حساب الآخر: ﴿ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾ [النجم: ٣٢] مع احترام معتقدات الآخر مهما تكن، وعدم التسفيه والسباب لها ﴿ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

(١) انظر: محمد النجار، معالم الحوار المفضي إلى الحد من العنف، مرجع سابق، ص٢٠٤.

٣. مساحة الحوار:

باستقراء حالات الحوار من خلال القرآن الكريم، يمكن القول بأنه لا حدود للحوار، سواء من ناحية مواضيعه ومجالاته أم من ناحية أشخاصه وأطرافه.

أ . مجالات الحوار في القرآن الكريم:

تتعدد مجالات الحوار وموضوعاته في القرآن الكريم، لكن الذي يعنينا هنا ليس حصر هذه الموضوعات، وإنما التأكيد على عدم تقييد الحوار وقصره على أمور معينة، وأنَّ كل الموضوعات مهما كانت، تخضع لإمكانية التحاور حولها شريطة الالتزام بشروط التحاور وآدابه.

فمثلاً نجد القرآن الكريم يناقش بعض المسلمات والبديهيات عند المسلم، مثل مسألة وجود الله عز وجل ووحدانيته ويضعها على طاولة الحوار، فينبغي بهذا ألا يكون ثمة موضوع . يمكن للعقل الإنساني أن يعمل فيه . ولا تستوعبه دائرة الحوار.

قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ [الطور: ٣٥]. وقال سبحانه: ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [النمل: ٥٩-٦٠].

وطرح أيضا مسألة الحوار حول النبي ﷺ وهل هو نبي يوحى إليه حقاً أم مجرد إنسان عادي، وهل هو مجنون أو ساحر أو كاهن.

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الحاقة: ٤٠-٤٧].

وبهذا اعتبر القرآن الكريم الحوار مع الآخر قاعدته الأساسية في الدعوة إلى كل قضاياه الكبرى التي بعث من أجلها هذا الموكب الكريم من الأنبياء

والمرسلين . قضية الإيمان . ولم ينأ بأية قضية مهما كانت قدسيتها عن دائرة الحوار(١).

ب . أشخاص الحوار:

كما أنه لا محدودية حول موضوعات الحوار، فإنه لا محدودية كذلك حول أشخاص الحوار وأطرافه، ولعل الذي يلفت الانتباه هنا، تعرُّض القرآن الكريم لتفصيل بعض الحوارات بين الله عز وجل من طرف وبين الملائكة من طرف حيناً، والأنبياء حينا آخر وحتى أن الشيطان يمثل طرفاً للحوار مع الله عز وجل.

وليس في هذه فقط مجرد دعوة إلى إعمال الحوار وأهميته، وإنما أيضاً تربية وتأكيداً على أنّه لا يحق لأحد أن يتجاوز الحوار أو يتعالى عليه، مهما كانت قيمته أو قيمة محاوره.

ثم هناك مجال خصب يسرده القرآن الكريم حول تحاور الأنبياء مع أقوامهم، حيث إن الحوار هو أحد أهم سبل الدعوة والإقناع.

ومن هنا استنكر الله عز وجل موقف رفض الحوار والإصرار على عدم ممارسته في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٖ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٞ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٞ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ﴾ [فصلت: ٥]، وقال ﷻ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦﴾ [لقمان: ٦].

فالاختلاف العقدي أو الفكري أو السياسي، ليس حاجباً عن الحوار، بل إنَّ أصل الحوار أن يكون بين المختلفين، وإلا فقد الحاجة إليه، وأيضاً ينبغي لفت النظر هنا لاسيما مع تحاشي بعض المتحاورين أو تأزمهم في حالة كون الطرف الآخر امرأة، أنه لا غضاضة لا شرعاً ولا واقعاً تحاور الرجال مع النساء، والقرآن الكريم يثبت ذلك في قصة محاورة النبي ﷺ مع إحدى النسوة، حتى سميت سورة كاملة بهذه المحاورة وهي سورة المجادلة، قال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ١﴾ [المجادلة: ١].

(١) انظر: د. محمد عبد اللطيف رجب، منهجية الحوار في القرآن الكريم، الإمارات، مجلة الشريعة والقانون، ع (٣٥)، ٢٠٠٨م، ص٢٠-٢٢.

٤ . قيم الحوار في القرآن الكريم:

يقوم الحوار في الإسلام على قاعدة الأخلاق والقيم، لا ينفصل عنها ولا تنفصل عنه. وهنا إشارة إلى بعض القيم الإسلامية التي أشار إليها وألزم بها، وهذه القيم هي الضابط لعملية التحاور والمنظمة لها. ولعل من أهم هذه القيم:

أ . **حفظ الكرامة الإنسانية:** فالإنسان على اختلاف أفكاره ونزعاته كائن مُكرم، ومن ثم يجب الالتزام بحفظ كرامته في حالة التحاور، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: ٧٠].

ب . **الوحدة الإنسانية:** فمهما تعددت الأجناس والأقوام والملل، فإنَّ مردَّ الإنسانيّة إلى أصل واحد، فهم أخوة على المجمل، يكون التحاور في ضوء هذه الوحدة، والعمل على بناء المشترك الإنساني بينهم وتقويته، وإقامة الصلات الإنسانية على ضوء التعارف والتآلف بينهم ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴾ [الحجرات: ١٣].

جـ . **وحدة الأمة الإسلامية:** فبعيداً عن التمذهب والتحزب، فإنّ الأمة مأمورة بإقامة هذه الوحدة وتعضيدها، وإزالة سبل الخلاف والشقاق بين طوائف الأمة ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢].

د . **التعايش السلمي:** فالأصل قيام العلاقات . وإن اختلفت الديانات . على أساس سلمي جامع بين البر والإقساط ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ﴾ [الممتحنة: ٨].

هـ . **العدل الإنساني:** فالعدل مع الكل مأمور به قولاً ﴿ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وفعلاً ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾ [المائدة: ٨].

و . **التعاون الإنساني:** فبغض النظر عن الأشخاص والاختلاف بينهم، فالتعاون في دائرة البر والتقوى مأمور به، ومهدوف إليه ﴿ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ﴾ [المائدة: ٢].

ز . **السماحة الإسلامية:** هذه السماحة أساس الأسس التي تتبني عليها العلاقات الإنسانية كافة، سواء كانت بين آحاد أم جماعات، متفقين أم مختلفين، فلا تقف على طائفة أو نوع أو عرق أو دين وإنما هي سماحة عامة ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤ ﴾ [فصلت: ٣٤]، ﴿ فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥ ﴾ [الحجر: ٨٥]، فلم يرض الله عز وجل لنبيه مجرد الصفح حتى أمره بالصفح الجميل، وهو الصفح الذي لا أذية فيه، بل يقابل إساءة المسيء بالإحسان، وذنبه بالغفران ... هو صفح يسلم من الحقد والأذية والقولية والفعلية، بخلاف الصفح الذي ليس بجميل، وهو الصفح في غير محله، فلا يصفح حيث يقتضي المقام العقوبة، كعقوبة المعتدين الظالمين الذين لا ينفع فيهم إلا العقوبة(١).

ح . **الفضيلة الإنسانية والتسامي الخلقي:** وذلك في كل شيء فعلاً وقولاً، ومع كل أحد مختلف معه أو موافق له، والإسلام إذ يدعو إلى الفضيلة والتسامي بالأخلاق، فإنه يدعو إلى إقامة مجتمع فاضل، فنجد آيات القرآن الكريم الكثيرة وهي توصي بالتعامل بين الناس لا بالحسنى والإحسان بقط، ولكن بالتي هي أحسن؛ وأحسن من صيغ التفضيل، فكأنها تدعو إلى منتهى الحسن أو الإحسان الذي ليس فوقه إحسان، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ﴾ [النحل: ١٢٥]، ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ٥٣ ﴾ [الإسراء: ٥٣]، ﴿ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ نَحۡنُ أَعۡلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ٩٦ ﴾ [المؤمنون: ٩٦].

(١) عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م، ص٤٣٤.

الفصل الثالث

الحوار وفقه الواقع

ترتبط فكرة الحوار بفقه الواقع ارتباطاً وثيقاً وذلك من ناحيتين على الأقل؛ فمن الناحية الأولى، أنّ الحوار في الأساس إنما هو عملية تقويم وتصويب . من خلال المدارسة والتعاون والنقد البناء . لموضوع يمس الواقع ويلتصق به، ومن ثم فإن الوقوف على هذا الواقع أمر ضروري، حتى لا يتحول إلى حوار عبثي غير مجدٍ.

أما من الناحية الثانية، فإنّ الحوار ذاته . موضوعاً وفكراً . يجب أن يلتزم بالواقعية بمعنى أن يكون قابلاً للتطبيق حقيقية: إن في عرضه وتداوله، أو أهدافه وغايته.

فالحوار الذي لا ينطلق من الواقع ولا يتعامل معه، أو ينطلق من الواقع ولا يستطيع أن يتعامل معه، هو حوار مجازي مضيع للجهد والوقت والآمال. ولا شك أن حاجاتنا الحقيقية تتمثل في الحوار الموضوعي الواقعي، مع تنحية المثالية والطوباوية عن الحوار.

وفي المذهبية الإسلامية، فإنّ عملية الحوار ليست مجرد حجاج أو سفسطة خارجية، وإنما هي عملية فاعلة تنطلق من خلال الواقع وتتعامل معه؛ وبالتالي، فإن فقه الواقع هنا والتعرف على مشكلاته له أهميته القصوى في عملية الحوار في الرؤية الإسلامية.

ومن ثم فإن هذا الفصل يهدف إلى الوقوف على الواقع الحواري: الداخلي والخارجي، حتى يتسنى معالجة هذا الواقع وتقويمه، والنظر في أولوية الموضوعات الحوارية المعروضة على الساحة. وذلك من خلال المباحث التالية:

المبحث الأول: **انطلاق الحوار من فقه الواقع**

المبحث الثاني: **واقع الحوار داخليا**

المبحث الثالث: **واقع الحوار خارجيا**

المبحث الأول

انطلاق الحوار من فقه الواقع

المقدمة:

لا شك أن الواقع الذي نحياه اليوم يتطور تطوراً سريعاً، سواء على المستوى الداخلي، أي واقع الأمة الإسلامية بما تشمله من طوائف متعددة وأيديولوجيات وأفكار جديدة أو دخيلة عليها، مع تطور كبير في ثقافة أفرادها وطريقة تفكيرهم، أو على المستوى الخارجي أي واقع العلاقة بين الأمة الإسلامية وغيرها من الأمم، وما تشهده الساحة من تطورات متتابعة للنظام العالمي . في ظل العولمة . سياسياً وفكرياً واقتصادياً ودينياً، وكل ذلك لا شك له أثره البالغ على عملية الحوار، سواء من الناحية الشكلية أو الناحية الموضوعية.

وإذا كان هذا التغيير الحياتي قد أنتج أنواعاً جديدة من الحوار، مثل ما يعرف بحوار الحضارات أو الثقافات وحوار الأديان حتى وإن كانت مثل هذه الحوارات موجودة في السابق، إلا أن هذا التغير في الواقع . قد أضفى عليها أبعاداً جديدة وموضوعات مستحدثة لا يمكن إغفالها.

ومن ثم فإن الحوار العملي لابد أن يتناسب مع الواقع وينطلق من فهمه وإدراكه، حتى يكون حواراً جدياً له نتائجه الفاعلة في تقويم هذا الواقع، والتحرُّك بيه نحو المستقبل.

١. المقصود بفقه الواقع:

يعرف القِنَّوجِي الواقع بأنه " فاعلية الشيء بنفسه في ظرفه، مع قطع النظر عن إدراك المدركين، وتعبير المُعبِّرين والوصول إليه يكون بالعيان أو البرهان"(١).

ويعرِّفه الدكتور عبد المجيد النَّجار أنَّه: "ما تجري عليه حياة الناس في مجالاتها المختلفة من أنماط في المعيشة، وما تستقر عليه من عادات وتقاليد وأعراف، وما يستجد فيها من نوازل وأحداث"(٢).

(١) أبو الطيب صديق حسن خان، أبجد العلوم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م، ص٢١٧.

(٢) في فقه التدين، فهما وتنزيلاً، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، كتاب الأمة، ع (٢٢)، ١/١١.

وبالتالي، فإنّ الفقه بهذا الواقع يتطلب فهماً شاملاً ودقيقاً لمُجريات الأحداث، وطبائع الناس، وهذا بطبيعة الحال يكون مبنيا على دراسة الواقع المعيشي دراسة دقيقة مستوعبة لكل جوانب الموضوع، معتمدة على أصح المعلومات وأدق البيانات والإحصائيات.

فالفقه بالواقع يتضمن الوقوف على الطبيعة البشرية بما تحمله من نواقص، وما تحمله من إمكانات وقدرات فلا ينظر إليها نظرة قدسية تجعلها فوق منزلتها، ولا نظرة دونية تضعها دون منزلتها، مع الوقوف على تأثرها بالعادات والأعراف العامة، والعلاقات والمعاملات الاجتماعية والحياتية.

كما يتضمن مراعاة خصوصية المكان وطبيعة الزمان، فلكل مكان واقعه، وكذلك لكل زمان، ومن ثم لا يكون منطلق الحوار واحداً لكل زمان ومكان، إذ لابد من التناسب تبعاً للحاجة والإمكانات وطبيعة كل زمان ومكان، ومن ثم تختلف الوسائل والأساليب والموضوعات بما يتناسب معهم.

٢. أهمية فقه الواقع لعملية الحوار:

أ . الارتقاء بالواقع الحواري:

إنَّ الوقوف على الواقع وفهمه ودراسته وتمحيصه، إنَّما يهدف إلى الارتقاء بهذا الواقع، من حيث النظر إلى المشكلات القائمة ومحاولة إيجاد حلول لها، واختيار الموضوعات الأنسب لإدارة حوار جاد حولها.

وكما يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "إنَّ الاعتراف بالواقع لا يعني إقراره على ما هو عليه من الخطأ والتخلف والظلم والجهل والاستبداد، أو الخضوع له، والتنازل عن قيم الكتاب والسنة .... وإنّما يعني أنّ البدء في أية عملية للتنمية والنهوض والارتقاء لابد أن تأخذ في اعتبارها هذا الواقع وألا تتجاهله، لأنَّ تجاهل الواقع والقفز من فوقه وعدم أخذه بعين الاعتبار، وتجميد الفاعلية، وإقرار الظلم، والعدول عن الحق، والتوقف والاستنقاع الحضاري باسم الواقعيين، فهو فقدان للإرادة، وانتحار جماعي، وانحدار بشري، وقضاء على أي أمل في الإصلاح"[(١)].

(١) من مقدمة كتاب فقه الواقع أصول وضوابط، أحمد بو عود، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، كتاب الأمة، ع (٧٥)، المحرم ١٤٢١هـ، ص٢٩-٣٠.

وبالتالي فإنَّ معرفة الواقع، تُجنب العملية الحوارية الانزلاق في أخطائه، التي ربَّما تُودي بالحوار حتى قبل أن يبدأ، وذلك إذا ما أغفل المتحاورين الواقع، بما يشتمل عليه من الوقوف على طبيعة موضوع الحوار وأبعاده، ومدى حساسيته وأهميته، وطبيعة المتحاورين حوله.

وإذا كان الفقهاء قد اصطلحوا على ضرورة إلمام المجتهد بقضايا الواقع قدر إلمامه بمسائل الشريعة، بحيث لا يبلغ مرتبة الاجتهاد والفتيا من غير إلمام بهذين الفقهين؛ فإنما كان غرضهم من ذلك إنزال أحكام الشريعة وتحكيمها في هذا الواقع، بحيث تتناسب معه من ناحية، وأن تكون سبيلا في علاجه من ناحية ثانية

والحق، فإنَّ دور المحاور هنا يدخل تحت هذه الدائرة . دائرة الاجتهاد . فيشترط في المحاور الوقوف على الواقع، والعمل على إيجاد حلول مناسبة لمشاكله وقضاياه من خلال الحوار.

وبالنسبة للحوار في الرؤية الإسلامية . فكما يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة . إن "فهم الواقع، والوقوف على سنن التغيير الاجتماعي، أمر مطلوب لحركات التغيير، والتجديد، والنهوض، والوقاية الحضارية بالنسبة لأمة الإجابة: "مجتمع المسلمين" كما أنه مطلوب أيضاً لإيصال الرسالة الإسلامية لأمة الدعوة: "غير المسلمين" لأن ذلك يمكّن من معرفة مداخل الشعوب، وخصائص وصفات خطابها، وعوامل استنفارها واستفزازها، أو استنقاعها الحضاري، على حد سواء"[(١)].

ب . تحديد أولويات موضوعات الحوار:

فالوقوف على الواقع، والإلمام بالقضايا المعاصرة، ومعرفة واقع الناس وطبائعهم جدير بتحديد أولويات موضوعات الحوار التي تناسب هذا الواقع، حيث تكون قضايا الحوار مناسبة للواقع الحياتي من ناحية، وواقع المتحاورين من حيث أفكارهم وتخصصاتهم، ومدى فاعليتهم للتحاور حول هذه القضايا من ناحية ثانية.

(١) مقدمة كتاب: الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع الدواعي والإمكان، منصور زويد المطيري، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، كتاب الأمة، ع (٣٣)، ربيع الأول، ١٤١٣هـ، ص١٠.

ذلك أنَّ "دراسة المجتمعات، وفهم واقعها، وتاريخها وثقافتها ومعادلاتها الاجتماعية، هو الذي يوضح لنا كيفيات وآليات التعامل معها، ومواصفات خطابها، والفقه الذي يمكننا من التدرج في الأخذ بيدها إلى تقويم سلوكها بشرع الله"(١).

ولفقهاء الإسلام قديماً بُعداً فقهياً في ضرورة التعامل مع الواقع، بما يُناسبه حين شددوا في ضرورة التجديد في الفتوى بحيث تناسب الواقع زماناً ومكاناً وأشخاصاً.

يقول ابن القيم: " وَمَنْ أَفْتَى النَّاسَ بِمُجَرَّدِ الْمَنْقُولِ فِي الْكُتُبِ عَلَى اخْتِلَافِ عُرْفِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَأَزْمِنَتِهِمْ وَأَمْكِنَتِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ وَقَرَائِنِ أَحْوَالِهِمْ فَقَدْ ضَلَّ وَأَضَلَّ، وَكَانَتْ جِنَايَتُهُ عَلَى الدِّينِ أَعْظَمَ مِنْ جِنَايَةِ مَنْ طَبَّبَ النَّاسَ كُلَّهُمْ عَلَى اخْتِلَافِ بِلَادِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَأَزْمِنَتِهِمْ وَطَبَائِعِهِمْ بِمَا فِي كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ الطِّبِّ عَلَى أَبْدَانِهِمْ، بَلْ هَذَا الطَّبِيبُ الْجَاهِلُ وَهَذَا الْمُفْتِي الْجَاهِلُ أَضَرُّ مَا عَلَى أَدْيَانِ النَّاسِ وَأَبْدَانِهِمْ "(٢).

ويقول الإمام القرافي: " فَمَهْمَا تَجَدَّدَ فِي الْعُرْفِ اعْتَبِرْهُ وَمَهْمَا سَقَطَ أَسْقِطْهُ وَلَا تَجْمُدْ عَلَى الْمَسْطُورِ فِي الْكُتُبِ طُولَ عُمْرِك، بَلْ إذَا جَاءَك رَجُلٌ مِنْ غَيْرِ أَهْلِ إقْلِيمِك يَسْتَفْتِيك لَا تَجْرِهِ عَلَى عُرْفِ بَلَدِك، وَاسْأَلْهُ عَنْ عُرْفِ بَلَدِهِ، وَاجْرِهِ عَلَيْهِ، وَأَفْتِهِ بِهِ دُونَ عُرْفِ بَلَدِك وَالْمُقَرَّرِ فِي كُتُبِك. فَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْوَاضِحُ وَالْجُمُودُ عَلَى الْمَنْقُولَاتِ أَبَدًا ضَلَالٌ فِي الدِّينِ، وَجَهْلٌ بِمَقَاصِدِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَالسَّلَفِ الْمَاضِينَ "(٣).

ج ـ الاشتغال بالحوار الواقعي دون غيره:

فمقصود الحوار، إنَّما هو معالجة المشكلات الحاضرة، لا الاشتغال بالتنظيرات الفلسفية، التي لا تنطلق من الواقع ولا تنصب عليه، بل تدور حول خيالات فارغة، وجدالات تافهة، ورؤى وهمية ومستحيلة.

---

(١) مقدمة كتاب الصياغة الإسلامية لعلم الاجتماع، مرجع سابق، ص١٢.
(٢) ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م، ٦٦/٣.
(٣) القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق، عالم الكتب، بدون طابعة، وبدون تاريخ، ١٧٦/١-١٧٧.

ومن ثم فإنّ واقعيَّة الحوار هي دعوة إلى النظر في الواقع، وتقديم الحلول المناسبة له من جهة، والممكن تطبيقها من جهة ثانية.

وهذه الواقعية تتماهى في المنهج الإسلامي، فهو منهج واقعي لا يقوم على مثاليات خيالية جامدة في قوالب نظرية، إنه يواجه الحياة البشرية . كما هي . بعوائقها وجوانبها وملابساتها الواقعية، يوجهها ليقودها قيادة واقعية إلى السير وإلى الارتقاء في آن واحد، يوجهها بحلول عملية تكافئ واقعيتها، ولا يرفرف في خيال حالم ورؤى مجنَّحة، لا تُجدي على واقع الحياة شيئا.

٣. سبل إدراك الواقع:

يقول دكتور عبد المجيد النجار: " والمنطلق الأول لفهم الإنسان وواقعه هو الانخراط الفعلي في هذا الواقع: معايشةً للناس، وتعاملاً معهم، في تصرفات الحياة المختلفة، ووقوفاً على مشاكلهم عن كثب، ومساهمة واقعية في مناشطهم المتنوعة، تعميماً لذلك كله على أوسع نطاق ممكن، من الطبقات، ومن الفئات، ومن أنماط المجتمعات. إنَّ هذا الانخراط الفعلي في الواقع الإنسانيّ، قدَرٌ ضروري لا غنى عنه لمن يريد فهمه، سواء كان فقيهاً مشرعاً، أو فيلسوفاً مصلحاً، أو أديباً معبراً عن الطموح الإنساني. وكل من رام غرضاً من هذه الأغراض، في عُزلة عن خضمّ الواقع الإنساني، في مظاهره الفردية والاجتماعية، لا يكون منه إلا مقولات مبنية على المثاليّة والخيال، فلا تثمر تغييراً فاعلاً نحو الأصلح، ولنا في ذلك مثال، في المُدن الفاضلة التي تصوّرتها عقول بعض الفلاسفة ومنهم بعض الإسلاميين مثل أبي نصر الفارابي (ت ٣٣٩هـ). ولا تخلو كثير من الآراء الإصلاحية، التي ينادي بها اليوم، بعض المخلصين في الحركة الإسلامية، من خياليّة ومثاليّة، نتيجة التنكُّب عن ممارسة واقع المشاكل التي يعانيها المسلمون.

ولكن الانخراط الفعلي في واقع الناس لئن كان منطلقاً ضروريًّا لفهم هذا الواقع، فإنه غير موفٍ بالفهم العلمي العميق، الذي ينفذ إلى الخفي من العوامل والأسباب، في تكوين الواقع الفكري والنفسي، وفي تفاعلات الواقع الاجتماعي والاقتصادي والثقافي"[(١)].

(١) سلسة كتاب الأمة، قطر، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، ع (٢٢)، المحرم ١٤١٠، ص١٢٥-١٢٦.

ويقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "لقد أصبح فقه الواقع أو فقه المجتمع، علم له أدواته ووسائل قياسه، بل نستطيع أن نقول: إنه أصبح خلاصة لمجموعة علوم إنسانية واجتماعية وتاريخية، ولم تعد تنفع معه النظرة العابرة، أو الملاحظة الآنية، أو الأمنية المخلصة.

حتى إنه يمكن القول: بأن وسائل وأدوات سبر حقيقة المجتمع، وكشف خفاياه، ومعرفة واقعة، وتحديد وجهاته، أصبحت علوماً، فعلم الإحصاء وحصر الإمكانات والاستطاعات، والمسح والبحث الاجتماعي بوسائل منهجية للتقويم والقياس، لم يعد أرقاماً جامدة، وإنما يعبر عن مؤشرات، ويحمل دلالات لا يمكن تجاهلها عند أي دراسة أو تخطيط أو تجديد أو تنمية للموارد البشرية والمادية، فلم يعد علم الإحصاء أداة ووسيلة، وإنما أصبح مقوماً لا يمكن تجاوزه.

حتى إن استطلاع الرأي والتعرف على التحولات الاجتماعية وأسبابها، أصبح علماً وفناً، لا يقتصر على علم قراءة الحاضر وإنما يتجاوز إلى التأثير فيه والتوجيه له"[(١)].

٤ـ واقعية الحوار تقتضي الوعي بالمستقبل:

فواقعية الحوار لا تعنى التوقف به عند حدود الواقع المعاش من دون دراسة المستقبل والتخطيط المناسب له، فالواقعية وإن كان أساسها التعامل مع حدود الواقع إلا أنَّه لا بد من خلالها إلى النظرة المستقبلية، حتى لا يطغى الواقع على المستقبل، ولا تطغى حقوق الأجيال الحاضرة، على الأجيال المستقبلة.

ويمكن الاستدلال لهذا الأمر من خلال النظر إلى حوار عمر بن الخطاب مع الصحابة رضوان الله عليهم حول تقسيم أرض السواد. فقد أورد أبو عبيد عن إبراهيم التيمي، قال: لما فتح المسلمون السواد قالوا لعمر: اقسمه بيننا، فإنا افتتحناه عنوة، قال: فأبى، وقال: فما لمن جاء بعدكم من المسلمين؟...، ولم يقسم بينهم قال أبو عبيد: يعني: الخراج[(٢)].

وذكر أيضا أن عمر رضي الله عنه لما "قدم الجابية، فأراد قسم الأرض بين المسلمين، فقال له معاذ: وَاللَّهِ إِذَنْ لَيَكُونَنَّ مَا تَكْرَهُ، إِنَّكَ إِنْ قَسَمْتَهَا صَارَ الرِّيعُ الْعَظِيمُ فِي أَيْدِي الْقَوْمِ، ثُمَّ يَبِيدُونَ، فَيَصِيرُ ذَلِكَ إِلَى الرَّجُلِ الْوَاحِدِ أَوِ الْمَرْأَةِ، ثُمَّ

(١) من مقدمة كتاب فقه الواقع أصول وضوابط، مرجع سابق، ص٣٤-٣٥.

(٢) أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر، ص٧١.

يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِمْ قَوْمٌ يَسُدُّونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مَسَدًّا، وَهُمْ لَا يَجِدُونَ شَيْئًا، فَانْظُرْ أَمْرًا يَسَعُ أَوَّلَهُمْ وَآخِرَهُمْ "[1].

فهذه النظرة الواقعية من الصحابة رضوان الله عليهم، قد جمعت بين الدراية بالواقع والتخطيط للمستقبل، واضعة في اعتبارها مصالح الأجيال القادمة ومراعية حقوقهم. وهي أحد لوازم الحوار الواقعي المرجو.

(١) المرجع السابق، ص٧٤.

المبحث الثاني

واقع الحوار داخلياً

مقدمة:

المقصود بالواقع الداخلي هنا هو تشخيص الحال الداخلي للمجتمع المسلم في شتى مجالاته، والوقوف على الأزمات الداخلية والتي تحتاج إلى حوار حقيقي لتجاوزها والارتقاء بهذا الواقع.

وبالمُجمل فإن أغلب الدراسات والتقارير حول المجتمع الإسلامي تشير إلى أن الكثير من هذه المجتمعات يعاني من عدة فجوات:

الأولى: فجوة سياسية ناتجة عن وجود أنظمة سياسية مغلقة لا تسعى للتطوير، وتكافح مؤسسات المجتمع المدني وتعتبرها تهديدا لها، وعدم توافر فرص فعلية للمشاركة.

الثانية: فجوة اقتصاديَّة وتتمثل في ضعف الاقتصاديات مما يؤدي إلى انتشار البطالة وزيادة معدلات الفقر، وضعف–إن لم يكن استحالة– إمكانيَّة إدماج السوق العربي في الاقتصاديات العالمية. ويضاعف من مشاكل تلك الاقتصاديات، انتشار مفاهيم الرشوة والمحسوبية والانغلاق الفكري، مما يحدُّ من إمكانيَّة مضاعفة الاستثمارات أو اجتذاب رأس المال الخارجي للمشاركة في التنمية.

الثالثة: فجوة معرفيَّة وتتمثل في نقص المعرفة اللازمة لاندماجها في المجتمع العالمي، نتيجة لسوء حال المؤسسات التعليمية وانتشار ظاهرة الأميَّة[1].

وعمومًا، فإنَّ هذا المبحث يهدف إلى الوقوف على واقع الحوار داخل المجتمع الإسلامي . في المجالات المختلفة . مع رصد العوامل التي أدت إلى التقزُّم الحاصل للأمة الإسلامية، ليكون الحوار سبيلا إلى إعادة إحيائها واستعادة شهودها الحضاري من جديد.

---

(١) د.أحلام السعيد فرهود، " الواقع العربي: هل يستجيب لدعاوى الإصلاح"، مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة ع(١٣) يناير ٢٠٠٤ م ص٥٥.

١. واقع الحوار الداخلي بشكل عام:

أحد أهم الأزمات التي يعيشها المجتمع المسلم تتمثل في غياب أو تغييب ثقافة الحوار على كافة المستويات.

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "والحقيقة التي لابد من الاعتراف بها في عالم المسلمين أن الحوار يكاد يكون غائباً تماماً على مستوى الفرد، أو إن شئت على مستوى النفس، فالقليل القليل من أدبياتنا أن نجد من يقوم بعملية المُراجعة والاعتراف بمسالكه الخاطئة، والكثير من تأخذهم العزة بالخطأ، ويكاد يكون الحوار غائباً على مستوى الأسرة والمدرسة والنادي والأمة والدولة، وإن حديثنا عن الحوار في الكتاب السنة والسيرة والتراث، وإن الموضوعات كلها على دقتها وخطورتها، خاضعة للحوار، إنَّما هو في غالبه للمباهاة والتفاخر وتجاوز مركب النقص الذي نعاني منه"(١).

فالمجتمع الإسلامي اليوم لا يهتم بنشر ثقافة الحوار ولا يزكيها، بل إنَّ طريقة إدارة أغلب المؤسسات يقوم في الأساس على استبعاد الحوار، بدءاً من أصغير المؤسسات وحتى أعظمها، بل إن المؤسسات التعليمية والتربوية، والتي من دورها نشر ثقافة الحوار، تساهم بنظامها في تغييب الحوار وإهماله.

وكما يقول مورتون كابلان: "إن مساوئ نظامنا المدرسي الحالي أنه لا يخلق مواطنين أنصاف متعلمين وجهلة فحسب، بل يخلق كذلك مواطنين لا يفهم معظمهم أساليب الحريات المختلفة التي تنطوي عليها القواعد الديمقراطية، والمأساة الحقيقية للنظام التربوي الجماعي . في بلادنا . تكمن في أن فوائده لا تساوي كلفته، وبالرغم من أن هذا النظام يوفر الفرصة أمام العديد من الناس لتنمية مهارات ومفاهيم لم تكن لتتوفر لهم لولا هذا النظام، فإنه يفرض على العديد من الطلاب إما الخضوع أو التمرُّد الأعمى، فهو يقضي على حب الاستطلاع فيهم، ويقضي على تسامحهم ويحول العقول النيرة الذكية إلى آلات بليدة فجة(٢).

(١) مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، مرجع سابق، ص١٧.
(٢) مورتون أ. كابلان، المعارضة والدولة في السلم والحرب، ترجمة: سامي العدل، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ص٢٩.

ولا شك أن غياب ثقافة الحوار قد أثمر الاستبداد والتعصب للرأي وعدم احترام الرأي المخالف، وانتهاج العنف وغير ذلك من المفاسد.

٢. على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي:

الأصل أن الأمة الإسلامية أمة متحدة: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾ [المؤمنون: ٥٢] على المستوى السياسية ﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]، وعلى المستوى الاقتصادي: ﴿ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ﴾ [الحشر: ٧]، وعلى المستوى الاجتماعي: «الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَى بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَى مَنْ سِوَاهُمْ» [(١)].

وليس من شك في أن هذه الوحدة إنما تقوم في الأساس على قاعدة الحوار، لكن الواقع المشاهد للأمة الإسلامية اليوم هو التغييب الكامل للحوار، أو بالأحرى تغييب الحوار الفاعل، وإبقاء الحوار الشكلي.

وهذا التغييب للحوار أدى إلى تشرذم وتشتت الأمة، فعلى الصعيد السياسي باتت الأمة الإسلامية دويلات متشرذمة، ليس لها كلمة مسموعة على المستوى العالمي.

أما على الصعيد الاقتصادي، والمرجو منه إقامة تكامل اقتصادي بين الدول الإسلامية، وذلك من أجل "مواجهة التحديات الاقتصادية التي تعوق التقدم المالي والاقتصادي بالدول الإسلامية، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الرفاهية الاقتصاديّة لكافة دول العالم الإسلامي، وذلك عن طريق الاستفادة من الإمكانات المتاحة (المادة والبشرية) وتبادل الخبرات والإفادة من التجارب الاقتصادية فيما بينها[(٢)].

(١) أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود، كتاب الجهاد، باب في السرية ترد على أهل العسكر (٣/٨٠) رقم (٢٧٥١) تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية، ابن ماجة، أبو عبد الله محمد، سنن ابن ماجة، كتاب الديات، باب المسلمون تتكافأ دماؤهم (٢/٨٩٥)، رقم (٢٦٨٣)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.

(٢)الشيخ عبد الوهاب عبد الواسع، التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، القاهرة، دار الشعب، ص٦٩، بتصرف.

أما عن الواقع الاجتماعي، فهناك طبقيّة غير مُعلنة بين أفراد المجتمع الإسلامي، من طبقة الوجهاء وطبقة العامة، ورجال الأعمال والموظفين.

والحق، فإنَّ هذا الواقع الوطني والإقليمي في الأساس مُسبَب عن تغييب الحوار، وإذا كان العالم اليوم يعيش عصر التحالفات الإقليمية والأيديولوجية، فإنَّ على العالم الإسلامي . حتى يستطيع أن يجابه . إنشاء تحالف عملي، وأن تقوم منظمة التعاون الإسلامي، بدور فاعل في رعاية حوار بنَّاء بين هذه الكتلة.

٣. على الصعيدين: الفكري والمذهبي:

يشهد العالم الإسلامي تعدداً فكرياً ومذهبياً واضحاً، وإذا كان التعدد في ذاته أمراً محموداً في حال كونه تعدد تنوع وتعاون، إلا أنَّ المشكل الحقيقي . في الواقع . أنه تعدد تنازع وتضاد، بل يصل هذا التنازع إلى حد التأثيم المطلق أحياناً والتكفير الكامل أحيانا أخرى.

فعلى المستوى الفكري، تعددت التيارات الفكرية ما بين تيارات متأثرة بالحضارة الغربية والفكر الغربي الحديث، وبين تيارات متأثرة بالثقافة الإسلامية ومنطلقة منها، وداخل كل تيار من هذه التيارات جماعات وطوائف فكرية متعددة، والحق فإنَّ المشكلة ليست في مرجعيَّة هذه التيارات ولا الفكر الذي تتبناه، بقدر المشكلة التخاصميّة والتنازعيّة بينها، والتلاسن القائم الذي يتعدى انتقاد الفكر إلى العداء والسباب الشخصي وفي أفضل الأحوال . في حالة التلاقي . تحدث المناظرات والجدالات من غير استعداد كل طرف أن يتفهم ما عليه الآخر، وقد تنشأ معركة كلامية سببها عدم إدراك أحد الأطراف لمصطلحات الآخر.

أما على المستوى المذهبي فالمسألة أعقد من مجرد الانتماء الفكري، إذ أن الغالب هنا مجرد التقليد الأعمى، والتحرك للعصبيات، بغض النظر عن مدى الصوابيّة والخطأ، وفي الواقع فإنه تكاد تنحصر المذاهب في المجتمع الإسلامي اليوم إلى مذهبين رئيسيين كبيرين هما: السُنّي والشيعي، وإن كان يدخل تحت كل مذهب منها تمذهبات متعددة، إلا أنَّ هذين المذهبين هما العنوان الرئيسي للخلاف الدائر، ولعله أكبر انقسام مذهبي وأقدمه في تاريخ الإسلام.

وفي الحقيقة فإنَّ هناك محاولات كثيرة قامت للحوار بين هذين المذهبين، إلا أنها كلها . تقريبا . قد باءت بالخيبة.

ومن المهم هنا التأكيد على أن الهدف من الحوار الفكري والمذهبي لا ينحصر فقط في إقناع أحد الطرفين وتحويله فكرياً أو مذهبياً، وإنما في الغالب تدور الأهداف حول فكرة التقبل والتعايش، واستخدام هذا التعدد والتنوع في الرؤى الفكري والمذهبي في بناء الأمَّة، وإثراء الساحة الفكرية برؤى مختلفة ومتنوعة.

وبالنسبة للحوار المذهبي . السني والشيعي . على وجه الخصوص فيهدف إلى تقوية الصف الإسلامي وإزالة أسباب العداء والفرقة بين المسلمين.

وكما يقول الدكتور كمال أبو المجد: "إنَّ الحوار الذي نحتاج إليه . بين السنة والشيعة . يجب أن يظل محكوماً بهدف واحد لا يتجاوزه ولا يعدوه ...وهو زيادة المعرفة المتبادلة والاستبصار الهادئ المنصف لموقف الآخرين، والتأمل من جديد في مواضع الخلاف، والبحث الدؤوب في الوسائل والصّيغ التي يمكن أن يتراضى عليها الفريقان بتجاوز تلك المواضيع دون تصفيتها بإلغاء موقف فريق منها ... وذلك كله رجاء أن يتعاون المسلمون فيما اتفقوا فيه، وهو الكثرة الغالبة التي تشمل أساسيات العقيدة كما تشمل الجزء الأكبر من فرعياتها ... وأن يعذر بعض المسلمين بعضا فيما اختلفوا فيه، أو يجدوا لهم سعة لا تحول دون المؤاخاة والتواصل، وتقطع الطريق على الساعين إلى إيقاظ فتنة نائمة ... أو خلق فتنة جديدة"[١].

(١) د. كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م، ص٢٧١-٢٧٢.

المبحث الثالث

واقع الحوار خارجياً

مقدمة:

الحوار الخارجي هو الدائرة الأرحب والأعقد في ذات الوقت من دوائر الحوار، إذ هو حوار يدور رحاه بين مختلفين شكلاً وموضوعاً، حيث اختلاف الثقافات واللغات والديانات والطموح والآمال، كما أنَّه حوار تتسع رقعته لتشمل العوالم والحضارات القائمة على اختلاف أشكالها وتوجهاتها، وما تحمله من عداءات ونزاعات ذات خلفيات تاريخية أو فكرية متنوعة.

وهذا الحوار . في هذا العصر . لم يعد أمراً اختيارياً يمكن الدخول فيه أو تجنُّبه، فالتشابك العالمي الحاصل . في ظل العولمة . يجعل هذا الحوار أمراً جبرياً، إما للتحصُّل على منافع لا تتحصل إلا من خلال هذا الحوار، أو درء مفاسد لا يمكن درؤها إلا من خلال أداته.

وليس معنى هذا أنَّ الحوار الخارجي أمر جديد وطارئ على هذا العصر، فقد تنوعت أشكال وأنماط الحوار والتفاعل بصفة عامة بين الحضارات المختلفة عبر التاريخ؛ إلا أن النظام العالمي المعاصر، على الأقل منذ نهاية الحرب الباردة، تختلف خصائصه الهيكلية وحالته ومنظومة القيم السائدة فيه عما كان يعرفه نظام الحرب الباردة والقطبية الثنائية، أو نظام تعدد القوى وصراع القوى الكبرى التقليدية منذ نهاية القرن التاسع عشر.

ولعل أبرز ما يميز النظام العالمي المعاصر، ويؤكد على أهمية الحاجة إلى حوار جاد بين الحضارات القائمة، يتمثل في بروز الأبعاد الثقافية والدينية في تشكيل العلاقات الدولية مع درجة كبيرة من اختراق الخارجي للداخلي، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى أن النظام العالمي الجديد ليس بأفضل من سابقة بعد نهاية الصراع الأيديولوجي، حيث تستمر أوجه التباين والاختلاف بين مكوناته، بل وتغلب على أوجه الانسجام، وفي قلب هذا الأمر الثاني احتل الإسلام والمسلمون موقع الصدارة في إعادة تشكيل هذا النظام العالمي، ولا أدل على ذلك من طغيان الحوار بين الإسلام والغرب على غيره من الحوار بين

حضارات أخرى، كذلك انفرد العالم الإسلامي باستهداف الغرب له بالوجه الآخر للقوة، أي القوة الصلدة، وبقيام المسلمين بقتال بعضهم بعض [١].

ومن ثم فإنَّ هذا المبحث يهدف بشكل أساسي، إلى الوقوف على واقع العلاقة الحوارية بشكل مجمل بين العالم الإسلامي والعالم الخارجي، وفي القلب منه العالم الغربي.

١. واقع العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الخارجي:

يحسن الإشارة بدءاً إلى أمرين، الأمر الأول: إنَّ واقع العلاقة بين العالم الإسلامي والعالم الخارجي اليوم إنَّما هي امتداد للحقبة التاريخية الطويلة للنزاع العسكري والديني بينهما، وبالتالي لا يمكن إغفال هذه الحقيقة الواقعة عند النظر إلى صورة العلاقة اليوم، أما الأمر الثاني فإنَّ العالم الإسلامي ليس كتلة واحدة متسقة في توجهاتها وعلاقتها مع دول العالم الآخر، بل إنَّ بعض البلدان الإسلامية أكثر اقتراباً من الدول الأخرى غير الإسلامية أكثر منها من الدول الإسلامية، إلا أنه في المجمل يتم النظر إلى الدول الإسلامية وتصنيفها أيديولوجياً، بغض النظر عن واقعها الإسلامي ومدى بعدها أو قربها من المنهج الإسلامي الصحيح.

أ . نظرة الآخر للإسلام:

غير خاف مدى تشويه صورة الإسلام في العالم، وبذل كافة الجهود في إخراج صورة المسلم بالصورة القاتمة، "فوفقا لما يراه معلقون غربيون كثيرون، فإنَّ الإسلام والغرب يسيران على طريق الصدام، إذ الإسلام يحمل ـ بالنسبة للغرب ـ تهديداً ثلاثيا: سياسياً، وحضارياً وسُكّانياً، وغالباً ما يتم تصدير المواجهة على أنها صدام حضارات"[٢].

وعملت الآلتان الإعلامية والفكرية . بدعم من الجهات السياسية . عملهما في هذا التشويه حتى صار ما يعرف بالإسلاموفوبيا، وباتت صورة الإسلام تُقرن

(١) انظر: د. نادية محمود مصطفى، البعد الثقافي في حوار الحضارات، التوظيف السياسي وشروط التفعيل، مقدم إلى ندوة حوار الحضارات في نظام عالمي مختلف التباين والانسجام، سراييفوا، ٢٠١٠م، ص١.

(٢) جون ل . إسبوزيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م، ص٣٠٠-٣٠١.

بالعنف والدموية، واستغلت المصطلحات الإسلامية وخطابات بعض الجماعات المنحرفة في تعظيم هذه الصورة المشوهة.

ويمكن رد هذا التشويه لدافعين أساسيين: أولهما واقع سياسي حيث يهدف إلى إضعاف العالم الإسلامي، وإمكانيّة إخضاعه والسيطرة عليه، ومن ثم التحكُّم في مُقدراته وبسط النفوذ الغربي عليه، ذلك أن هذا التشويه له أثره المعنوي، إذ يشعر المسلم بالصغار والدونيّة تجاه الآخر، مما يجعله يعمل على تنحية معتقداته . التي هي مصدر قوته . ويتحول إلى تابع يسهل اقتياده.

أما الأمر الثاني، فهو دافع ديني وهو يستهدف في الأساس إضعاف العقيدة في نفوس المسلمين بغرض التنصير والتحول الديني.

ودور الاستشراق هنا واضح، ولعله هو الأساس الذي يعتمد عليه القادة السياسيين والمحللين الإعلاميين في تشويه صورة الإسلام.

فمثلاً نجد المستشرق اليهودي الأمريكي ذي الأصول البريطانية " برنارد لويس " يقدم صورة قاتمة عن الإسلام والمسلمين "باعتبارهم أصوليين مقاتلين خطرين في كتاب "الأصولية الإسلامية" والذي صدر في صورة منقَّحة تحت عنوان "جذور الهياج المسلم" حيث يعزز الأنماط الشائعة عن المسلمين والأصولية الإسلامية، ويهيئ القارئ سلفاً لأن يرى علاقة الإسلام بالغرب في ضوء الغضب والعنف والكراهية واللاعقلانية، وبسبب مكانة "لويس" الدولية باعتباره باحثاً ومعلقاً سياسياً على الشرق الأوسط، فإنَّ موضوعه لقي تغطية واسعة على الصعيد المحلي وعلى الصعيد الدولي، وكان له أثر على الفهم الغربي للإسلام المعاصر، وعلى الفهم الإسلامي للكيفيّة التي يرى الغرب بها الإسلام والمسلمين"[١].

إن العقل الغربي الآن وفقاً لمثل هذه التحليلات يرتدُّ ذاتياً إلى عقليّة القرون الوسطى، والتي كانت تفترض في الآخر أنه شرير ثمّ تعاقبه لأنه شرير، بغض النظر عما إذا كان هذا الشر حقيقة، أم مجرد وهم صنعته الأنا تجاه الآخر[٢].

(١) جون ل . اسبوزيتو، المرجع السابق، ص٣٠١.
(٢) انظر: أحمد الجهيني، ومحمد مصطفى، الإسلام والآخر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م، ص١٨٥.

ومع هذا الموقف السلبي تجاه الإسلام والحضارة الإسلامية إلا أنّ من الإنصاف القول أنه لا يمكن وصف العالم بأجمعه باتفاقه على هذه العدائية، بل إنَّ هناك دراسات جادة لفهم الإسلام على حقيقته، وهناك رؤى متفتحة تجاه الإسلام وحضارته، ودعوات إلى التقبُّل والمعايشة، سواء من ناحية العامَّة أم المثقفين، بل أكثر من ذلك نجد بعض الكتابات والأفكار حول دور الإسلام في الحضارة الإنسانية وإبراز التسامح الإسلامي، والرد على الدعاوي السلبية تجاه تصنيف الإسلام والمسلمين بالعدائية وهناك دعوات صريحة إلى اعتبار الإسلام كشريك حضاري لا يمكن تغيبه(١).

ب . واقع الأقليات المسلمة:

تعتبر الأقليات الإسلامية هي الأكثر تداخلاً، والأكثر إجباراً للتعامل مع الآخر، فهم جزء لا يتجزأ من الحوار الخارجي، الذي لا يمكن إغفال واقعهم هنا.

وبالنظر المجمل إلى هذه الأقليات نجد أنهم إما:

١. مسلمون ينتسبون إلى دول غير إسلامية بالأصل والمواطنة: مثل مسلمي الهند والصين والفلبين المقيمين في أوطانهم الأصلية، وهؤلاء جزء لا يتجزأ من شعوبهم، لهم من الحقوق مالهم وعليهم من الواجبات ما عليهم.

٢. رعايا دولة إسلامية يقيمون في دولة غير إسلامية، ويخضعون لمقتضيات القانون الدولي ولأحكام القانون المحلي، مثل المسلمين من دول منظمة المؤتمر الإسلامي المقيمين في شتى بلدان العالم(٢).

والواقع أن "عدداً من الأقليات الإسلامية في بعض البلدان الأوربية والأمريكية استطاعت أن تكتسب كيانا قانونياً يوفر لها إمكانية الاندماج في المجتمعات التي وفدت إليها بما لا يفقدها خصوصيتها الثقافية ولا يؤثر في تركيبتها الاجتماعية، الأمر الذي جعلها تستطيع التعايش والحوار مع مختلف

(١) من هذه الكتابات كتاب: فريتس شتيبات، الإسلام شريكاً، وقد صدر باللغة العربية عن: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة ع (٣٠٢)، أبريل ٢٠٠٤م.

(٢) راجع: د. عبد العزيز التويجري، الحوار من أجل التعايش، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص١٣٩، د. عبد الستار الهيتي، الحوار الذات والآخر، مرجع سابق، ص١٥٩.

الفئات الاجتماعية، كما وفّر لها فرصاً عن التعامل المتكافئ مع الظروف المحيطة بها، ولكن هذا الأمر لا ينطبق على الأغلبية الساحقة من تلك الأقليات المقيمة في مختلف أقطار العالم التي تتهدد هويتها الثقافية مجموعة من المشكلات والضغوط، التي أملتها طبيعة التباين في المعتقد والمنهج والتفكير(١).

٢. إمكانية الحوار مع الآخر:

على الرغم من إشكالية العلاقات بين العالم الإسلامي والآخر وعلى رأسه العالم الغربي إلا أنه ما زال هناك إمكانية بل بالأحرى حتميّة لإجراء حوار فاعل؛ ولعل الذي يساعد ويدعم إمكانيّة التلاقي الحضاري يتمثل في عدة أمور منها:

أ . فمن ناحيّة الفكر الإسلامي، فليس ثمة غضاضة من التحاور مع الآخر، سواء لإيصال رسالة الإسلام وتوضيح صورته، أو الاستفادة من السبق الحضاري الذي يعيشه الغرب حالياً في المجالات المختلفة، "فقواعد الشرع والدين لا تمنع أن تنهي عن ذلك، فهذه القواعد لا تقيد حركة المسلم أو تقعد به عن التقدم والتطور وتحقيق المنفعة له ولمجتمعه وللعالم أجمع، إنّ الموقع الذي يمليه الإسلام على حملة أمانة الدعوة الإسلامية من حضارة الغرب من منظور مبادئ الإسلام هو موقف التكميل لا الهدم، والتسديد لا النبذ، والتعاون على ما فيه صالح البشرية في إطار القيم الإنسانية المشتركة(٢).

هذه الخلفية الفكرية هي المنطلق الأهم لأي حوار فاعل مع الآخر، حيث تفتُح الأفق العقلي للتقبل والتعايش، ونقل الخبرات والالتقاء على مائدة الحوار من غير تأفف.

ب . وعلى الجانب الآخر فهناك تيار فكري عريض في العالم الغربي يشجع التحاور بين العالمين، بل إن نظرية صراع الحضارات كما لاقت رواجاً هناك، فإنها لاقت أيضاً انتقاداً بالغاً.

---

(١) د. عبد الستار الهيتي، الحوار الذات والآخر، ص١٦٠.

(٢) ينظر: أحمد الجهيني، ومحمد مصطفى، الإسلام والآخر، مرجع سابق، ص٢٦٦، د. فريد عبد الخالق، في الفقه السياسي الإسلامي، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م، ص٢١٧-٢١٦.

فمثلاً نجد "فريتس شتبات" يعيب على "هنتجتون" فيقول: "لو سلّم الرأي العام في الغرب . وفقا لتصور هنتجتون . بأنّ الإسلام هو عدوه الطبيعي، لما استنتج المسلمون من ذلك سوى أن عليهم ألا يتوقعوا من الغرب غير العدوان عليهم. ذلك على التحديد هو الذي يمكن أن يدفع المسلمين كافة، بصرف النظر عن الاختلافات القائمة بينهم في المشاعر والمصالح، إلى حد اتخاذ موقف عدائي موحد ضد الغرب، إنَّ هنتجتون، حتى وإن أخذ حضارات أخرى في الاعتبار، إنما يضع في الواقع إطاراً نظرياً لاستنفار كل من الإسلام والمسيحية تجاه الآخر"[١].

جـ . أنه مازال هناك بعض القضايا المشتركة التي يجتمع عليها العالم، وهي بحاجة إلى تعاضد وتضامن بين الجميع، وبالتالي فإنَّ هذه القضايا من الممكن أن تكون هي المدخل لبدء حوار أوّلي يوصل إلى التعارف الإنساني المشترك، ولعل من أبرز هذه القضايا، الأخلاق والقيم الإنسانية العليا، ومواجهة الإلحاد، وحقوق الإنسان، والمحافظة على البيئة، وتحقيق السلم العالمي.

د . وأيضا فإن هناك حتمية للحوار تحت ضرورة الأمر الواقع، مثل تعايش الأقليات المسلمة في البلدان غير الإسلامية.

وكما يقول الدكتور عبد العزيز التويجري: "إن العلاقات التي تقيمها الأقليات الإسلامية مع غير المسلمين في البيئات التي تعيش فيها، تنبع أولاً من خصوصية الثقافة الإسلامية التي تنفتح على الغير وتتميز بالتسامح مع جميع أهل الأديان والعقائد والثقافات والحضارات، وتنزع نحو التعاون في إطار الأخوة الإنسانية التي تجمع بين البشر كافة، من دون اعتبار للاختلاف في المعتقد والمذهب، أو في العرق والجنس، وتقتضيها ثانياً ضرورات التعايش الذي أصبح سمة العالم الجديد، وتمليها متطلبات الحياة في المجتمعات المعاصرة، وتفرضها المصلحة المؤكدة لهذه الجماعات الإسلامية الناشئة في غير البلاد الإسلامية"[٢].

(١) الإسلام شريكاً، مرجع سابق، ص٦٧.
(٢) الحوار من أجل التعايش، مرجع سابق، ص١٤٠.

الفصل الرابع

إشكالية الحوار والتواصل

المبحث الأول

الإشكالية العامة للحوار والتواصل

مقدمة:

يهدف هذا المبحث إلى مناقشة الإشكاليات والعوائق التي تؤثر سلباً على الحوار بشكل عام، أو بمعنى آخر فإنَّ هذه الإشكاليات لا تتعلق بموضوع معين أو مجال محدد من مجالات الحوار، كما لا تتعلق بطبيعة خاصة للمتحاورين وإنَّما هي مؤثرات سلبيّة على أي حوار كان، سواء كان هذا التأثير سالباً كلياً يمنع من إقامة الحوار ابتداء، أو سالباً جزئياً يحدُّ من أثر الحوار ونتيجته، أو يُعقّد من إجراءاته.

وتماشياً مع منهجية هذا البحث في العرض المختصر غير المسهب، فإنَّ أبرز هذه الإشكاليات تتمثل في:

١. غياب ثقافة الحوار وآدابه:

يمثل غياب ثقافة الحوار أحد أبرز العوائق أمام إقامة الحوار بدءاً من ناحية، كما يمثل عقبة كؤوداً في حالة إقامته من ناحية ثانية، كذلك فإنّ عدم الاهتمام بآداب الحوار الشكلية والموضوعية له أثره البالغ في عدم سير الحوار في نطاقه الطبيعي، بل قد يؤدي ذلك إلى إفساد الحوار وإنهائه من غير تحصيل مراده.

والذي يجدر الإشارة إليه هنا، أنَّ فكرة ثقافة الحوار لا ترتبط ارتباطاً طردياً مع مستوى التعليم والثقافة العامة بشكل ثابت، وإنَّما في الأساس لها جانبان، جانب معرفي نظري، وآخر إجرائي تطبيقي يعتمد على الممارسة والتعامل المباشر، وبالتالي فإنَّ مجرّد بثّ المعارف البحتة حول ثقافة الحوار، بدءاً من التأكيد على أهميته، والترويج لتقبُّل الآخر مهما كان رأيه مخالفاً، واستخدام الاختلاف في التعاون المنتج بدلاً من الشقاق والتضاد، فرغم الأهمية النظرية

لهذه المعرفة، إلا أنَّها تبقى رهينة التنظير غير المنتج ما لم تُختبر واقعاً ويُدرب عليها جيداً.

فالواقع أنَّ هذا العصر قد شهد زخماً معرفياً، لم يُعاضد بنظير عملي، مما ولّد الازدواج الذي أثر سلباً على جوانب كثيرة ومنها جانب الحوار.

ومن أسف فإنَّ المجتمع المسلم اليوم من أكثر المجتمعات تغييباً للحوار، سواء على المستوى الداخلي (الذات)، أو على المستوى الخارجي (الآخر)، والسبب الرئيسي في هذا عائد إلى غياب ثقافة الحوار، أو بالأحرى تغيبها وربما ذلك ما يكون لأسباب في الأصل سياسية.

أ . عدم استيعاب أهمية الحوار:

تتبدّى أولى ملامح غياب ثقافة الحوار واقعياً في عدم الاعتراف بأهميّة الحوار وجدواه، أو بالأحرى عدم استيعاب هذه الأهميّة.

فالحوار هنا ليس قيمة أساسية في ذاته، وإنما يُعد شيئاً إضافياً من قبيل الرفاهيات التي لا تُؤخذ مأخذ الجد، أولا يلجأ إليه عادة إلا في حالة الضرورة.

ومن هنا قد حرص القرآن الكريم في توجيه النبي ﷺ ومن خلفه المسلمين إلى التمسك بالحوار، مهما كانت نتيجته ولفت النظر إلى أهميته في أعظم موقف قد يحكم من خلاله بعدم أهمية الحوار أو قد يعتقد ضرره.

ففي غزوة أحد عندما شاور النبي ﷺ أصحابه للخروج أو عدم الخروج إلى محاربة المشركين ومع أن رأيه كان عدم الخروج؛ إلا أنَّ نتيجة الشورى ـ التي هي نوع من أنواع الحوار ـ قد خلصت إلى خلاف رأي النبي ﷺ بالخروج، وهو ما أثمر هزيمة المسلمين في هذه المعركة، ولما أنَّه قد يفهم أنَّ الحوار هو سبب الهزيمة، نزل قوله تعالى: ﴿ **وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ** ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وأنَّه ليس من مصلحة أحد أن يستقل برأيه ولو كان هو النبي ﷺ ؛ وهو تأكيد على أهمية الحوار حتى وإن بدا عدم جدواه.

إنَّ عدم استيعاب أهميَّة الحوار قد يُعظّم من الكبر الشخصي والاعتزاز الذاتي، والنظرة الأحادية، وينتج شعوباً ضعيفة هزيلة، محكومة بالاستبداد والديكتاتورية والرأي الواحد، كما قد يؤثر على كافة العلاقات، وتقديم أحكام مسبقة عند الحاجة إلى التحاور، والتي تؤثر على سير الحوار ونتيجته.

ب . رفض الآخر والنفور من الاختلاف:

إحدى أهم إشكاليات الحوار تتمثل في رفض الآخر وعدم تقبل الاختلاف، ولعل هذا الرفض منشؤه في الأساس عائد إلى تعظيم الذات وانكفاء عليها مع ضيق النظرة أو جهل بالآخر.

"وفي ثقافة رفض الآخر، فإنَّه يكون موضوع استباحة شاملة، تشمل خداعه وإضلاله ورفض الاحتكام لمعايير أخلاقية معه ... إنَّها ثقافة الاغترار بالنفس والاستكبار"(١). كما في حوار إبليس مع الله عز وجل: ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الإسراء: ٦٢].

وفي الرؤية الإسلامية اهتمام خاص بقضية التعارف على الآخر والتقارب منه، من قبل الحكم عليه وتجنبه، ذلك أنَّ "التعارف يؤدي إلى اختفاء الجهل بـ (الآخر). وخطورة الجهل بـ (الآخر) تتمثل في خلق التصورات المغلوطة عنه، وتطور الخوف منه، والشعور المتبادل بالخوف يقوض الاستعداد للحوار وتبادل الأفكار"(٢).

والحق فإنَّ التعرف الحقيقي على الطرف الآخر، إنّما هو لازم من لوازم إقامة حوار فاعل ومثمر، هذا التعرُّف ينبغي أن يكون من خلال أدبيات الآخر، ورؤاه وأفكاره الحقيقية التي يعلنها ويتبناها، من غير تأويل لها، أو افتراض سوء النية، كما لا ينبغي عدم الاكتفاء أو الالتفات إلى ما يُكتب أو يقال عنه من خارجه.

"إن انطلاق مبدأ الحوار إنما يكون من الإيمان ابتداء بالحرية والاختيار الإنساني في الوجهة والاعتقاد، والاقتناع بأن التنوع حقيقة وواقع، وأن الاختلاف حق من حقوق الإنسان وكرامته، وأن الحوار لا يعني ولا يُطلب منه إلغاء التنوع ومصادرة حق الاختلاف وإكراه الناس على ما لا يختارون ...

---

(١) ممدوح الشيخ، ثقافة قبول الآخر، الطبعة الأولى، المنصورة، مكتبة الإيمان، ٢٠٠٦م، ص٢٥-٢٧.

(٢) انجمار كارلسون، عداء الشرق والغرب: الخوف المتبادل، في كتابه الإسلام وأوربا، تعايش أم مجابهة، ترجمة سمير يوناني، ص ٣٣، عن د. محمد حسن خليفة، الحوار منهجاً وثقافة، ص٩٤.

فأصحاب الرؤية الأحادية، الذين لا يمتلك تراثهم وقيمهم حق التنوع والاختلاف غير مؤهلين ثقافياً وحضارياً لتقنية الحوار، ولو ادعوا ذلك، لأنهم يعتقدون أنّ الصراع هو السبيل الوحيد للقضاء على الآخر، وترويضه وتعبيده للسيد المهيمن"[١].

ج . الربط بين نجاح الحوار والتوصل إلى رؤى متطابقة:

كثيرا ما يغيب عن الإدراك أنَّ الحوار الحقيقي لا يهدف إلى الاستدراج والاستمالة وتغيير القناعات، كما أنَّ ليس مقصوده أنْ يصل كافّة الأطراف إلى نتيجة واحدة متطابقة. والحكم على مدى نجاح الحوار وفشله، من هذا المنظور يضيق دائرة الحوار ويحيله إلى نوع من المنافسة، وسبيل من سبل الحجاج والإقناع.

هذا الربط يمثل عائقاً نفسياً، حيث يُستبعد من عملية الحوار الأطراف التي يبدو أنَّ لها قناعات وأفكار يصعب تغييرها كلية، بدلاً من الاستفادة من التحاور معهم والتعاون في الجوانب المشتركة.

وأيضاً عائقاً عملياً، حيث إنَّه ليس من السهل تغيير الأفكار وتوحيدها في عملية حوارية، لاسيما في الأمور العظيمة مثل الأديان والأفكار والأيديولوجيات، فهذه أمور ليس من الممكن فيها تطابق الرؤى، أو التنازل عن تبنِّيها والإيمان بها.

د . عدم التزام آداب الحوار:

حتى يؤدي الحوار أهدافه، فإنّه يجب أن تتوفر البيئة المناسبة للحوار والطريقة المثلى للتحاور، والتي تتمثل في مراعاة آداب الحوار من قِبَل الأطراف المتحاورة.

ذلك أن حدوث أيّ تجاوز من أي طرف من أطراف الحوار، يؤثر سلباً على سير الحوار، بل قد يؤدي إلى إنهائه.

يقول الأستاذ عمر عبيد حسنة: "ولعلَّ من المشاهد الحوارية المزرية، الحوارات التي تتم في الكثير من المحافل الثقافية والفضائيات، بين اتجاهين

(١) الأستاذ عمر عبيد حسنة، مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، ص٢٦.

متناقضين، أو رأيين مختلفين، والتي غالباً ما يسودها الضجيج والصياح والزعيق والاستخفاف، والتي هي أقرب لمناقرة وصراع الديكة منها للحوار الهادئ.

إنَّها ملاكمة ومصارعة لكن بالكلمات، باسم الحوار، وإن كانت لا تعدم استعراض العضلات، وحركات الأيدي، فبدلاً من أن يؤدي مثل هذا الحوار للوصول إلى مشترك إنساني، يزيد الفُرقة، ويثير الأحقاد، ويعمق الخلاف، ويغتال المشترك، وينتهي إلى العداوة والتربص والسعاية وسوء النية[1].

٢. غياب الحرية:

كما مر، فإنَّ الحريَّة شرط من شروط الحوار، ولا يُنتظر أن يقوم حوار جاد وبان في بيئة لا تتسم بالحرية.

وسواء كان غياب الحرية من خلال التسلط على أحد أطراف الحوار وإجباره على أمر معين، أو تخوف من أطراف الحوار من إعلان نتيجة معينة للحوار، أو حتى مجرد استخدام الحوار كوسيلة للتملق، أو أياً كان الأمر الذي يحدُّ من حرية المتحاور في إبداء رأيه وإعلانه، فإنَّ ذلك كله له أثره السلبي والمعيق لحوار بنّاء.

٣. سوء إدارة الحوار:

من العقبات التي تقف حائلاً حول إتمام الحوار على الوجه الأمثل، عدم الفاعلية والإجادة في إدارة الحوار سواء من الناحية الشكليَّة التنظيمية، أو من الناحية الموضوعية.

وليس من شك في أنَّ إدارة الحوار، إضافة إلى أنَّها مُكنة شخصيّة، وموهبة ذاتية، فهي علم يحتاج إلى دراسة وتدريب.

إنَّ سوء إدارة الحوار كفيل بإضاعة الوقت في أمور جانبية لا طائل منها في التحاور، وعدم إنصاف أحد الطرفين في عرض رأيه كاملاً؛ مما يؤثر على نتيجة الحوار، وأمور أخرى كثيرة قد تؤدي إلى إفشال الحوار.

(١) انظر: مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، ص٢٧.

٤. التركيز على الأخطاء والمختلف حوله:

بخلاف المراء والمناظرة، فإنَّ الحوار ينبغي أن ينطلق من قاعدة المشترك، وتعظيمه، وتجنيب المختلف وتقليله قدر الإمكان، وليس معنى ذلك عدم الخوض في هذه الدائرة مطلقاً، وإنَّما المقصود عدم التركيز عليها بحيث تصبح مضمون الحوار وغايته.

ذلك أنَّ التركيز على دائرة الأخطاء والمختلف حوله، يحيل الحوار إلى نوع من الجدال والمدافعة، بدلاً من التفاهم وتقبل الرؤى بغرض الوصول إلى رأي يمكن التعاون حوله.

المبحث الثاني

إشكاليات الحوار الذاتي

مقدمة:

كما مر في الفصل السابق، فإنَّ الحوار الذاتي يمر بواقع مؤسف، يحتاج إلى إعادة ترميم، فالوحدة الإسلامية أصبحت شتاتاً، والتقارب السياسي صار تباعد، واللحمة الاجتماعية بانت تشرذماً ... إلخ.

هذا الترميم وإعادة البناء الحواري يتطلبان الوقوف الحقيقي على العوائق المؤثرة على سير الحوار الفاعل بين أبناء الذات الواحدة، إذ لا يمكن اعتماد حوار حقيقي من غير تخط لهذه العقبات، وفقه التعامل معها.

وإذا كانت هذه العوائق لها أبعاد ذاتية وأخرى موضوعية، وجوانب داخلية وأخرى خارجية، كما لا يمكن معها إغفال المؤثرات الحضارية والخلفيّة التاريخيّة؟

فإننا هنا نكتفي بأبرز هذه الإشكاليّات والتي تمثل السد الأمنع في إقامة حوار داخلي جاد وفاعل والتي تتمثل في:

١. التعصب والحزبية:

إذا كان الاستبداد هو السيف المُسلَّط على المتحاورين من خارجهم وهو العائق الخارجي للحوار، فإنَّ التعصب أيا كان مجاله، والحزبيَّة أيا كان تجمعها هما السيفان والآفتان الداخليتان المعيقتان للحوار من خلال المتحاورين أنفسهم.

فالتعصب لا يرضخ للحق مهما تبين الدليل، فهو متعصب لرأي أو حزب أو جيش أو دين، لا يهمه إن كان الحق معه أو مع غيره، كما قالت بنو حنيفة من قبل: "كذّاب ربيعة أحب إلينا من صادق مضر".

هذه العصبية لا شك تقطع أي سبيل للحوار، فلا مجال هنا لالتقاء الفرقاء ولا تمحيص الآراء، ولعل هذه العصبية هي السبب الأول في فشل الحوار المذهبي بين المسلمين، كالحوارات الدائرة بين الشيعة والسنة على مدار الأعوام، والتي لم يكن لها نصيب من الإثمار.

قال الإمام الغزالي فيما ينبغي أن يكون عليه موقف المتحاورين: أن يكون ـ كل طرف ـ كناشد ضالة، لا يفرق أن تظهر الضالة على يده أو يد من

يعارضه، فهو يرى رفيقه مُعيناً ومُساعداً في الوصول للحق، لا خصما، فلذلك يشكره إذ نبَّهه لموضع الخطأ وأظهر له الحق، كما لو سلك طريقاً خطأ في طلب ضالته فنبه صاحبه إلى أنَّ ضالته سلكت الطريق الآخر، فإنَّه يسير به ويشكره، قال: وسأل رجل علياً عن مسألة فأجاب، فقال الرجل: أظنها ليست كذلك يا أمير المؤمنين ولكني أظنها كذا وكذا، فقال ﷺ: أصبتَ وأخطأتُ أنا: ﴿ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ ﴿٧٦﴾ ﴾ [يوسف: ٦٧][1].

ولهذا جاء الإسلام بنبذ العصبيات كما قال النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ دَعَا إِلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ قَاتَلَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ، وَلَيْسَ مِنَّا مَنْ مَاتَ عَلَى عَصَبِيَّةٍ»[2].

وسماها دعوى الجاهلية عندما اختصم مهاجري وأنصاري فصاح المهاجري بالمهاجرين، وصاح الأنصاري: يا للأنصار. فقال ﷺ: "ما هذا؟ أدعوى الجاهلية"[3].

كذلك، فإنَّ التحزبات السياسية في العالم الإسلامي اليوم تمثل أحد العوائق الكبرى أمام الحوار المثمر، خصوصاً في الجانب السياسي، وكان لها دور كبير في انقسام المجتمع، ونشر العداوة والتخاصم بين طوائفه، وبدلاً من أن تقوم بدورها المنتج للأفكار، "توجيه الرأي العام وتعميق الوعي السياسي لدى الشعوب بما تقوم به من طرح مشاكل الشعوب للحوار وبسط أسبابها واقتراح وسائل حلها، الأمر الذي يثري الحياة الفكرة، ويساعد على بلورة الاتجاهات المختلفة ويمكن الشعوب من المشاركة في المسائل العامة والحكم عليها حكما أقرب ما يكون إلى الصحة"[4].

إلا أنها باتت اليوم مجالاً للتنافس والضغناء فيما بينهم، مما عقّد من عملية التحاور.

---

(١) انظر: إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة، ١/٤٣-٤٤.
(٢) سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب العصبية، (٢/٧٥٣)، رقم (٥١٢١).
(٣) سنن البيهقي الكبيرة (١٠/١٣٧)، رقم (٢٠٢٥٤)، مسند أحمد (٣/٣٢٣)، رقم (١٤٥٠٧).
(٤) د. علي جابر الشارود، التعددية الحزبية في ظل الدولة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار السلام، ٢٠١٠م، ص٢٧٤.

٢. الثقافة المجتمعية والضغط المجتمعي:

لا شك أنَّ الضغط المجتمعي على المُحاور يمثل أحد العوائق الأساسية في الحوار؛ إذ في كثير من الأحيان يخشى المحاور التعرض لغضبة المجتمع نتيجة تعرضه لبعض الأفكار، أو موافقته لرأي من الآراء التي يخالف الثقافة والتقاليد الاجتماعية.

بل قد يُعرّض المحاور إلى رفض الحوار كليّة خشية من تبعات مجرد مصافحته للطرف الآخر، ولعل ذلك يظهر بقوة في الجوانب التحاورية الشائكة أمثال الحوار الديني الذي قد يعتقد بعض عموم الناس أنه نوع من التنازل في الدين، وأيضاً التحاور مع بعض الفئات التي يرفضها المجتمع بسبب موقف فكري أو توجه سياسي أو نحو ذلك.

وبحق، فإنّه لا يمكن تغافل هذا الضغط المجتمعي أو التقليل من شأنه، فهو قد يصل بالمحاور إلى الرفض المجتمعي، بحيث لا يجد له مكاناً داخل المجتمع.

ولعل أحد المؤثرات الاجتماعية الحديثة التي تؤثر في ثقافة المجتمع بشكل كبير، والتي لا يمكن إغفالها إضافة إلى الموروث الثقافي والتقاليد، هو المؤثر الإعلامي حيث يقوم الإعلام بدور بارز في تشكيل وتوجيه الرأي العام، والتأثير في الثقافة المجتمعية "على اعتبار أن وسائل الإعلام هي الوسائل الناقلة لأنماط التفكير والمعرفة والقيم والأفهام، وبالتالي تساهم في إيجاد جانب كبير من الثقافة الاجتماعية، كما أنَّها تساهم في التنشئة الاجتماعية، أي تعليم الأفراد الجدد المهارات والقيم والمعتقدات التي يقدرها المجتمع، فهذا الأمر يعطي الدلالة على أنّ الإعلام يمثل سلطة رقابية تنموية وتوجيهية للمجتمع"[(١)].

(١) انظر: فاضل محمد البدراني، الأخلاقيات والإعلام، ضمن الإعلام وتشكيل الرأي العام وصناعة القيم، تحرير: عبد الإله بلقزيز، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٣م، ص٣٥٧.

المبحث الثالث

إشكاليات التواصل الخارجي

مقدمة

انطلاقاً من عالمية الإسلام بما تقتضيه من واجب البلاغ والتعامل مع جميع العالم، وتأسيساً على شهادة الأمة الإسلامية بما تتضمنه من شهودها الحضاري ووعيها الاجتماعي، ووسطيتها بين الأمم؛ فإنَّ المجتمع الإسلامي لا يسعه الانغلاق على نفسه، وإنّما عليه تلمس أفكار الآخرين، والتعرف على ثقافتهم، ومن ثم التواصل الإيجابي معهم، لاسيما في هذا العصر الذي لا يمكن الانكفاء فيه على الذات، وإلا تحول المجتمع إلى فريسة سهلة، تتلقّى أفكار الغير وقيَمه ولا تستطيع تصدير أفكارها وقيمها، ويبقى أعظم طموحها المنابذة عن نفسها حتى لا تتحوّل إلى سلعة تحرّكها وتغذيها هذه القيم والأفكار المغايرة لقيمها وأفكارها.

إنَّ هذا التواصل لابد أن يُصاحبه الأدوات اللازمة، منهجاً وفكراً وسلوكاً، حتى إذا ما افتقد أحد هذه الأدوات فإن ذلك يمثل عائقاً للتواصل فلا يؤتي ثماره المرجوة.

وواقعاً، فإنّ الحوار القائم بين العالم الإسلامي وغيره من العوالم يقف أمامه كثير من العقبات، التي تحتاج إلى إذابتها وتخطيها من قبل إنشاء أي حوار يرجى منه التوصُّل إلى نتائج فاعلة.

وبالتالي، فإنّ هذا المبحث يهدف إلى رصد أبرز هذه العوائق الواقعية والتي تتشعب إلى عوائق نفسية، وموضوعية وأيضاً تنظيمه.

١. الصراع الأزلي بين العالم الإسلامي والآخر:

تمثل الخلفية التاريخية للعلاقة التصادمية بين العالم الإسلامي وغيره من العوالم، أحد أبرز العوائق النفسية لإقامة حوار صادق في هذا العصر، حيث يمكن اختصار هذه العلاقة إلى ثلاث مراحل، المرحلة الأولى شهدت ازدهار العالم الإسلامي والهيمنة الإسلامية عن طريق الفتوحات والتي جابت العالم شرقه وغربه، والمرحلة الثانية زمن الحروب الصليبية والاعتداء الغربي على العالم

الإسلامي ثم دحر الغربي أخيراً، والمرحلة الثالثة مرحلة الاستعمار العالم الغربي للعالم الإسلامي واغتصاب مقدراته والتي ما زالت تبعاتها ظاهرةً حتى الآن.

وليس من شك في أنَّ هذه الذكرى التاريخية ما يزال لها آثارها في العالم المعاصر، حيث تأزم من عملية الثقة بين الجانبين واللازمة لإقامة حوار بينهما، كما تعمق من النظرة التنافسية والاستعلائية بين العالمَين؛ "ففي حين يرى أهل الشرق بأنّ تفوقهم قائم على أسس مقدسة وإرث حضاري موغل في القدم، يرى الغرب بأنه تفوقه قائم على أساس التقدّم الحضاري والسياسي والإنجاز العلمي والتكنولوجي خلال العصور الحديثة، وما بين الماضي المقدس والحاضر المتقدم، تغدو دعوات الحوار والتلاقي صرخة في واد لا يستمع لها إلا أصحابها أو المنادون بها.

ومن الممكن ملاحظة طبيعة الصراع الحالي القائم بين الشرق والغرب على أسس فكرية وثقافية وأيديولوجية أكثر من أي وقت مضى، وإذا كانت المصالح الاقتصادية والاستراتيجية للغرب تلزمه بالتواصل والتحاور مع الآخرين؛ فإن التناطح الأيديولوجي بين الأفكار والعقائد والأديان، ما فتئ يؤجج الخلاف، ويثير التناحر والتصادم بأشكال وصور متفاوتة الشدة، تخبو حيناً وتتأزم أحياناً أخرى لتصل إلى حافة الصراع الدموي في مناسبات عدة"[(١)].

٢. عدم التكافؤ الحضاري:

واقعاً، فإنَّ من لوازم الحوار الفاعل أن يكون بين متكافئين، وإلا تحول إلى مجرد إملاءات يفرضها القوي على الضعيف، فمهما كانت نظرة أحد أطراف الحوار إلى الآخر نظرة دونية واستعلائية، أو اعتبار أحد الأطراف نفسه دون الطرف الآخر، فإنّ ذلك مما يحول دون إقامة حوار فاعل.

فمن أبرز آفات الحوار- كما يذكر الأستاذ عمر عبيد حسنة-: "عدم توفير الاحترام وتكافؤ الفرص للأطراف المشاركة في الحوار، الأمر الذي يحول الحوار لأن يكون نوعاً من التقرير والإملاء لأفكار ورغبات الأقوى المهيمن، والتاريخ والحاضر يحمل لنا الدلالات الكثيرة لموضوعات حوارية كانت المشاركة فيها

(١) إحسان طالب، معوقات حوار الثقافات: الاستعلاء، وتغيير الآخر بالضرورة، منصة مقال كلاود، بتاريخ ٢٣ أبريل، ٢٠١٥م. www.maka/cloud/post/bqs3sojux

على مستوى الأمم جميعاً للوصول إلى توصيات ومقررات وصيَغ إنسانيّة، فتأتي الدول المهيمنة لتصادرها ولتضرب بها عُرض الحائط، وتستبدلها بما تريد، وتحمل الكثير من الدول قسراً على الموافقة عليها، خشية فوات مصالحها. وكثيراً ما تحرم الدول المهيمنة طرح الكثير من الموضوعات والمشروعات بالإرادة المنفردة، بعيدة عن تكافؤ الفرص.. فكيف والحالة هذه، يمكن أن تصدق دعاوي الحوار، أو أن يؤدي الحوار رسالته البشرية"(١).

إنَّ التراجع الحضاري للأمة الإسلامية قد أفقدها بلا شك مكانها حول طاولة الحوار كندٍ وشريك حضاري للدول الأخرى. وحتى تستطيع إقامة حوار حضاري حقيقي، فإنَّها في حاجة إلى استرداد مكانتها الحضارية أولا بين الأمم

يؤكد هذا المعنى الدكتور طه عبد الرحمن فيقول: "فلابد للحضارة من أن تتحقق بالحضور في المكان والحضور في الزمان، وحضورها في المكان هو نهوضها بالفعل العمراني على أوسع نطاق وحضورها في الزمان هو نهوضها بالفعل التاريخي على أعمق وجه، ومتى أخذنا بهذا الشرط المزدوج، فلا مفر من أن نقر بأن الحضارة التي تنهض بهذين الفعلين: "الفعل العمراني الأوسع" و"الفعل التاريخي الأعمق" في عالمنا هذا هي الحضارة الغربية وحدها وليس غيرها؛ أما الحضارات الأخرى بما فيها الحضارة الإسلامية، فلا حضور مشهود لها، فلا هي تزيد في العمران وفق قدرتها الخاصة، ولا هي تصنع التاريخ، وفق قيمها الحية، يترتب على هذا أن مفهوم "حوار الحضارات" غير ذي موضوع، فالحوار لا يكون بين جانبين، أحدهما حضارة مشهودة، والثاني حضارات غائبة، كانت ولم تعد"(٢).

فانعدام التكافؤ الحضاري ينتج عنه شعور الطرف الأضعف "بالانسحاق أمام شخصية الآخر نتيجة إحساسه في أعماقه . بالعظمة الكبيرة والمطلقة التي يملكها الآخر، فتتضاءل . إزاء ذلك . ثقته بنفسه، وبالتالي، ثقته بفكره وبقابليته لأن يكون طرفاً للحوار فيتجمد عند ذلك ويفقد قدرته على الحركة الفكريّة، فيتحول إلى صدى للأفكار التي يتلقاها من الآخر"(٣)، إضافة إلى استشعار الطرف الأقوى بقدرته واستطاعته فيكون سبباً لاستعلائه وتوجيه الحوار لصالحه.

(١) مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، مرجع سابق، ص٢٥-٢٦.
(٢) الحوار أفقاً للفكر، مرجع سابق، ص١٨١.
(٣) محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن، مرجع سابق، ص٦٨.

٣. إشكالية التمثيل الديني والثقافي والحضاري في الحوار:

من أهم الإشكاليات التي تُقابل التواصل مع الآخر كذلك، كما يقول الأستاذ عمر عيد حسنة: "ما يعتريه من تدليس والتباس وزيف، وذلك عندما يغيب الطرف الآخر عن ساحة الحوار ولا تتاح له الفرصة لطرح أفكاره وبيان دوافعه وأهدافه ومناقشتها مناقشة موضوعية، وإنما يكتفي بإحضار بعض الأشخاص للحوار نيابة عنه، أو بالوكالة عنه، وليس هذا وفقط وإنَّما قد يصار إلى طرح أفكار الآخر، ومناقشتها من خلال خصومه، بل وأعدائه، لذلك نجد أنَّ الأحكام الفكريّة اليوم في ساحات الحوار تفتقد البينات وفي مقدمتها الاستماع إلى وجهة نظر المدعي عليه، فهي أشبه بالأحكام القضائية التي يغيب فيها المتهم ويستمع فيها إلى الشاهد الذي لا يعلم شيئا"[١].

ففي كثير من الحوارات كان الطرف الذي يمثل المسلمين، على غير المستوى اللائق والكافي من القدرة والكفاءة العلمية والتخصصية، بل غالباً من الذين يُحسبون على الإسلام والدعوة الإسلامية اسميا[٢].

ويدخل تحت هذا الأمر غلبة طابع الحوار المؤسسي الرسمي غير المتخصص، حيث يتحول الأمر برمته إلى "تمثيل الحالة الحوارية" وليس حوارا حقيقياً، والملاحِظ لحوارات الأديان والحضارات الدائرة خلال السنوات الأخيرة سيلاحظ خلوها من علماء الدين والحضارات المتخصصين غير المرتبطين بالمؤسسات الحكومية الرسمية، والمنتمين إلى جامعات ومؤسسات علميّة خالصة هدفها تحقيق المعرفة وتحصيلها، ومنهجها علمي مرتبط بطبيعة العلم أو التخصص، مثل هؤلاء العلماء لا وجود لهم في الحوار، وهناك أيضاً المفكرين وكبار المثقفين.

ونتيجة لهذا الوضع أنتجت الحوارات الدائرة خطاباً دينياً وثقافياً جامداً وتقليدياً، واعتذارياً، وفي لغة دينية لا تناسب متطلبات الحوار والعصر[٣].

(١) مقدمة كتاب الحوار الذات والآخر، ص٢٦.
(٢) بسام داود عجك، الحوار الإسلامي المسيحي، مرجع سابق، ص٤٢٢.
(٣) انظر: د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، مرجع سابق، ص٦١.

الخاتمة

(النتائج والتوصيات)

يمكن أن نجمل نتائج الدراسة وتوصياتها في النقاط التالية:

أولًا: النتائج:

١ـ أوضحت الدراسة مفهوم الحوار لغة واصطلاحا، وميزته وعزلته عن المفاهيم المتشابكة معه والملتصقة به كالجدال والمناظرة والمفاوضة والمناقشة، ومن ثم عرجت على أركان الحوار ومكوناته. الأمر الذي أكد أن الحوار قائم على التعاون والتفاهم بين الأطراف المشاركة لتحقيق أهداف معينة يسعى المتحاورون إلى تحقيقها.

٢ـ ناقشت الدراسة الشروط التي يقوم عليها الحوار والتي تتمثل في: إتاحة الحرية الكلمة للمتحاورين، وتحديد مضمون الحوار، والالتزام بالسلمية وعدم التعصب، وبذلك يتحول الحوار من مجرد حالة تلقائية عفوية، إلى عملية منظمة ومنضبطة ومخطط لها بدقة.

٣ـ بينت الدراسة فلسفة الحوار من خلال مناقشة أسسه ومنطلقاته، والتي تتمثل: في مدنية الإنسان، وحتمية الاختلاف والتعدد، ووحدة الإنسانية والمشترك الإنساني، وأيضا أهميته وضرورته، والتي تتمثل في: كون الحوار سبيلا للتعارف الإنساني، وتقليص شقة الخلاف بين المتحاورين، وكسر الجمود الفكري والروحي، وتنويع الرؤى في الوصول للحقيقة.

٤ـ ناقشت الدراسة مستويات الحوار وآفاقه، حيث بَانَ أن للحوار مستويين: الحوار على المستوى الداخلي، بما يضمنه من حوار داخل نفس الإنسان ومكنونته، وحوار داخل المجتمع المسلم، وحوار بين الأوطان الإسلامية؛ والحوار على المستوى الخارجي، بما يضمنه من تحاور بين الجماعة المسلمة والعالم الخارجي عنها، كما تعددت آفاقه ومجالاته، من حوارات سياسية، ودينية، وقيمية، وثقافية، وحضارية.

٥ـ تناولت الدراسة منظومة الحوار القرآنية من خلال جانب التأصيل القرآني للحوار، حيث تعظيم مكانته، وتأكيد إمكانه وواقعيته، مع التدليل بنماذج تطبيقية يمكن احتذاؤها والاهتداء بها، وأيضا جانب الثقافة الحوراية القرآنية، حيث وضع منهجية قرآنية للتحاور تتمثل في: ضرورة الاعتراف بالآخر، وعدم الإكراه والتسلط، وتعظيم المشترك التعاوني، وتحكيم الجو العلمي وتجنب العاطفة، مع تأكيد أهمية الالتزام بضوابط الحوار من انصاف الطرف الآخر، والتزام اتباع الحق، واحترام الآخر وعدم إثارته...الخ.

٦ـ ضرورة انطلاق الحوار من خلال فهم الواقع، من أجل حسن التعامل مع القضايا الحوارية التي تمس هذا الواقع وتتناسب معه، ومن ثم يلزم التعرف على الواقع الداخلي من جميع جوانبه: السياسية والاقتصادية، والأخلاقية والقيمية، والثقافية والدينية، وأيضا الواقع الخارجي، بما يشمله من قضايا دولية وإقليمية، ومدى الابتعاد والاقتراب من الناحية الثقافية والحضارية، وقضايا الأقليات الإسلامية... الخ

٧ـ أبرزت الدراسة بعض العوائق والإشكاليات الكبرى التي تقف عثرة أمام الحوار والتي تتمثل في: غياب ثقافة الحوار وآدابه، ووجود الأنظمة الاستبدادية والتسلطية، والثقافة المجتمعية والضغط المجتمعي، والخلفية التاريخية للعلاقة التصادمية بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، والتوظيف السياسي للحوار.

ثانيًا: توصيات الدراسة:

١ـ ضرورة نشر ثقافة الحوار في المجتمع الإسلامي . والذي يعد أكثر المجتمعات تغييبا للحوار للأسف . وذلك عن طريق: التربية المنزلية داخل الأسرة والذي يتطلب بدوره وضع برامج توعوية وإرشادية للأسر، والمدارس والجامعات من خلال تدريس مواد دراسية متعلقة بنشر ثقافة الحوار لدى الطلاب وتفعيله عمليا في طريقة التدريس والأنشطة المدرسية والجامعية.

٢ـ السعي نحو تنظيم الحوار ومأسسته، وذلك من خلال إنشاء مؤسسات على المستوى الوطني والإقليمي ـ على مستوى الأمة الإسلامية ـ، تهتم بالحوار، وتضع البرامج والخطط للموضوعات النقاشية العلمية التي تُساهم في حل قضايا الخلاف، وحل المشكلات العالقة، والاستفادة من المشترك وكيفية التعاون، مع دورها في متابعة العملية الحوارية وتقويمها.

٣. إنشاء كراسي وأقسام علميَّة تختص بالحوار الحضاري، وتسعى إلى نشر ثقافته، حيث يتم فيها تدريس الثقافات والحضارات والأديان المختلفة، مع التدريب والتخصص في هذا المجال، وتخريج طلاب مؤهلين علميا، ومدربين عمليا للممارسة الحوار.

٤. الاهتمام بمؤسسات المجتمع المدني، وسائر المنظمات الأهلية، والتي يمكن إشراكها في الحوار الحضاري داخلياً وخارجياً اهتماماً مادياً أو معنوياً على حسب الحاجة، مع إتاحة حرية المشاركة والتعبير عن الرأي لأفرادها.

٥. التواصل مع الأقليات المسلمة في البلدان الغربية والغير إسلامية بشكل عام، وتأهليهم علميا وعمليا للتحاور مع الآخر، وتسهيل عملية اندماجهم في هذه المجتمعات مع الاحتفاظ بالهوية والثقافة الإسلامية، ويحسن إنشاء مؤسسة خاصة بهم تمثل مرجعية ثقافية وفقهية وقانونية تسهم في هذا الأمر.

٦. الاستفادة من سرعة النشر عن طريق وسائل الإعلام المختلفة . لا سيما وسائل التواصل الاجتماعي . في نشر قيم الحوار، والتعرف على الآخر، والحفاظ على الهوية الإسلامية لدى أبناء المجتمع المسلم، ونشر الثقافة الإسلامية، وإبراز الصورة الحقيقية للإسلام، وتصحيح الصورة النمطية لدى الغرب للثقافة والحضارة الإسلامية.

٧. ضرورة الاتجاه إلى تفعيل الحوار الذاتي داخل المجتمع الإسلامي، والاهتمام بالتحاور بين البلدان الإسلامية، من قبل المبادرة وتوجيه كافة الطاقات إلى الحوارات الخارجية؛ ذلك أنه من غير المرجى نجاح الحوار الخارجي، من خلال أمة لم تنجح في التحاور بين أفرادها داخليا.

٨. ضرورة تفعيل دور الدول والمنظمات الإسلامية، في المشاركة الحوارية الحضارية الفاعلة على المستوى الإقليمي والدولي، وأن يكون لها حضور قوي في هذه المشاركة ولا تترك الساحة خاوية وأن يكون لها برامجها وأجندتها الخاصة التي تسعى إلى تطبيقها.

٩. الاهتمام بالحوار الديني وتفعيله، سواء بمعناه الأشمل حيث التحاور بين الأديان بغرض الاستفادة من المشترك القيمي والأخلاقي من أجل استعادة روحية الإنسان، ومواجهة حركات الألحاد ومجابهة الانحرافات السلوكية والقيمية، أو بمعناه الأضيق من تحاور بين المذاهب الإسلامية بغرض تقريب وجهات النظر ومن ثم المساهمة في استعادة وحدة الأمة.

المراجـــع

القرآن الكريم

د. محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، مرجع سابق، ص٦١.

١. إبراهيم شوقار، منهج القرآن في تقرير حرية الرأي، الطبعة الأولى، بيروت، دمشق، دار الفكر المعاصر، دار الفكر، ٢٠٠٢م.

٢. ابن القيم، محمد بن أبي بكر، إعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩١م.

٣. ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، الطبعة الثانية، بيروت، دار الفكر، ١٩٨٨م.

٤. ابن ماجة، أبو عبد الله محمد، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت، دار إحياء الكتب العربية.

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم، لسان العرب، الطبعة الأولى، بيروت، دار صادر.

٦. ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، شركة الطباعة الفنية المتحدة.

٧. أبو الطيب صديق حسن خان، أبجد العلوم، الطبعة الأولى، دار ابن حزم، ٢٠٠٢م.

٨. أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، بيروت، دار المعرفة.

٩. أبو داود، سليمان بن الأشعث، سنن أبي داود تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، المكتبة العصرية.

١٠. أبو عبيد القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق: خليل محمد هراس، بيروت، دار الفكر.

١١.أحلام السعيد فرهود، " الواقع العربي: هل يستجيب لدعاوى الإصلاح"، مجلة الديمقراطية، السنة الرابعة ع(١٣) يناير ٢٠٠٤ م.

١٢. أحمد الجهيني، ومحمد مصطفى، الإسلام والآخر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٧م.

١٣.أحمد المبلغي، "حديث القرآن عن حوار الفكر وفكرة الحوار"، السودان، مجلة أمة الإسلام العلمية، ع (١١)، ٢٠١٢م.

١٤.أحمد بوعود، فقه الواقع أصول وضوابط، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، كتاب الأمة، ع (٧٥)، المحرم ١٤٢١هـ.

١٥.احميدة النيفر، منزلة التعارف والاعتراف في منظومة القيم القرآنية، مسقط، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مجلة التفاهم، ع (٣٦)، ربيع ٢٠١٢م/١٤٣٣هـ.
١٦.برنارد لويس، إدوارد سعيد، الإسلام الأصولي في وسائل الإعلام الغربية، وجهة نظر أمريكية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الجيل، ١٩٩٤.
١٧. بسام داود عجل، الحوار الإسلامي المسيحي المبادئ، التاريخ، الموضوعات، الأهداف، الطبعة الأولى، دمشق، دار قتيبة، ١٩٩٨.
١٨.الجرجاني، علي بن محمد، التعريفات، الطبعة الأولى، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٨٣م.
١٩.جون ل. إسبوزيتو، التهديد الإسلامي خرافة أم حقيقة، الطبعة الثانية، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م.
٢٠.الزبيدي، محمد بن محمد بن عبد الرازق، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
٢١.طه عبد الرحمن، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، الطبعة الثانية، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ٢٠٠٠م.
٢٢. عباس محجوب، الحكمة والحوار علاقة تبادلية، عمان، جدارا للكتاب العالمي؛ إربد، عالم الكتب الحديث، ٢٠٠٦م.
٢٣. عبد الحميد أبو سليمان، أزمة العقل المسلم، الطبعة الثانية، الأردن، مكتبة المنار، ١٩٩٢م.
٢٤. عبد الحميد أبو سليمان، العنف وإدارة الصراع بين المبدأ والخيار، رؤية إسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة، دار السلام للطباعة والنشر، ٢٠٠٢م.
٢٥.عبد الرحمن السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، الطبعة الأولى، بيروت، مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٠م.
٢٦.عبد الستار الهيتي الحوار الذات والآخر، كتاب الأمة، العدد (٩٩)، قطر، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ١٤٢٥هـ.
٢٧.عبد العزيز التويجري، الحوار من أجل التعايش، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ١٩٩٨م.
٢٨. عبد العزيز التويجري، تأملات في قضايا معاصرة، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٢م.
٢٩.عبد القادر الشيخلي، أخلاقيات الحوار، الطبعة الأولى، دار الشروق، ١٩٩٣.
٣٠. عبد الله التطاوي، الحوار الثقافي، مشروع التواصل والانتماء، القاهرة،

الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠٠٦م.
٣١. عبد الله بن حسين المرجان، الحوار في الإسلام، الطبعة الأولى، جدة، مركز الكون، ٢٠٠٦م.
٣٢.عبد المجيد النجار، في فقه التدين، فهما وتنزيلاً، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، كتاب الأمة، ع (٢٢).
٣٣. عبد الملك منصور المصعبي، حوار الحضارات: المفهوم والمقومات، ضمن أعمال ندوة موقع الإسلام في القيم الكونية وحوار الحضارات، تونس، مركز الدراسات الإسلامية بالقيروان، جامعة الزيتونة، ٢٠٠٥م.
٣٤.عبد الوهاب عبد الواسع، التحديات التي تواجه العالم الإسلامي، القاهرة، دار الشعب.
٣٥. علي أحمد شريقي، أزمة التفكير الإسلامي المعاصر، الطبعة الأولى، دمشق، دار البشائر، ٢٠٠٩م.
٣٦.فريتس شتيبات، الإسلام شريكاً، وقد صدر باللغة العربية عن: الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون، سلسلة عالم المعرفة ع (٣٠٢)، أبريل ٢٠٠٤م.
٣٧. فهد بن عبد العزيز السنيدي، حوار الحضارات، المحددات والضوابط في ضوء الكتاب والسنة، الرياض، كرسي الأمير سلطان بن عبد العزيز للدراسات الإسلامية، جامعة الملك سعود.
٣٨.فهمي هويدي، مواطنون لا ذميون، الطبعة الرابعة، القاهرة، دار الشروق، ٢٠٠٥م.
٣٩.الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، الطبعة الثامنة، بيروت، مؤسسة الرسالة،٢٠٠٥م.
٤٠. القرافي، أحمد بن إدريس، الفروق، عالم الكتب، بدون طابعة، وبدون تاريخ.
٤١.كمال أبو المجد، حوار لا مواجهة، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ٢٠٠٢م.
٤٢. لعموري شهيدة، زروخي إسماعيل، الصدام الحضاري وصناعة الأعداء: صموئيل هنتجتون نموذجاً، الجزائر، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ع (٢٤)، ٢٠١٦م.
٤٣.مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، الطبعة الرابعة، دمشق، دار الفكر، ١٩٨٤م.
٤٤.محسن أحمد الحضري، مبادئ التفاوض، الطبعة الأولى، القاهرة، مجموعة

النيل العربية، ٢٠٠٣م.
٤٥.محمد السماك، مقدمة إلى الحوار الإسلامي المسيحي، الطبعة الأولى، بيروت، دار النفائس، ١٩٩٨.
٤٦.محمد الغزالي، دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين، القاهرة، دار الشروق.
٤٧. محمد حسين فضل الله، الحوار في القرآن: قواعده أساليبه، محيطاته، الطبعة الخامسة، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٦م.
٤٨. محمد حسين فضل الله، في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الملاك، ١٩٩٤م، ص٨.
٤٩.محمد خليفة حسن، الحوار منهجاً وثقافة، الطبعة الأولى، الدوحة، وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية، ٢٠٠٨م.
٥٠.محمد رشيد رضا، تفسير المنار، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
٥١. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، الطبعة الأولى، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ١٩٩٧م.
٥٢. محمد عبد اللطيف رجب، منهجية الحوار في القرآن الكريم، الإمارات، مجلة الشريعة والقانون، ع (٣٥)، ٢٠٠٨م.
٥٣.محمد عمارة، الإسلام والتعددية: الاختلاف والتنوع في أطار الوحدة، الطبعة الأولى، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، ٢٠٠٨م.
٥٤. محمد مصلح الزغبي، الحوار النبوي مع المرأة وأثره في بناء شخصيتها، الأردن، المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، جامعة آل البيت، ٢٠٠٩م.
٥٥. ممدوح الشيخ، ثقافة قبول الآخر، الطبعة الأولى، المنصورة، مكتبة الإيمان، ٢٠٠٦م.
٥٦.المناوي، محمد عبد الرؤوف، التوقيف على مهمات التعاريف، تحقيق: محمد رضوان الداية، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفكر، ١٤١٠هـ.
٥٧. منى أبو الفضل، وأميمة عبود، وسليمان الخطيب، الحوار مع الغرب: آلياته، أهدافه، دوافعه، الطبعة الأولى، دمشق، دار الفكر، ٢٠٠٨م.
٥٨. مورتون أ. كابلان، المعارضة والدولة في السلم والحرب، ترجمة: سامي العدل، بيروت، دار الآفاق الجديدة.